روايات غادة

إيفلين هيوز

لا مفرّ من القدر

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

غـــادة

لا مفر من القدر

كان يسكن أفكارها يتجول بعقلها الباطن يختال بأحلامها لكنها لم تعرف هذا إلا بعد فوات الأوان وحتى ولو عرفت ذلك مسبقاً فقدريهما ألا يلتقيا أبداً. أو هذا ما اعتقدته سيرينا بلانش مستحيلاً لكن هل في الحياة والحب شيء مستحيل؟؟...

«طرقاتنا لا بد ان تتشابك في النهاية»، هذا ما قاله لها غابريال سميث بكل ثقة وتأكيد فهل كان محقاً والى أي مدى؟؟...

www.elromancia.com

www.elromancia.com

- ١ -

الرياح كانت تعصف بقوة والأمطار الغزيرة تنهمر كالرذاذ وكانت سيرينا تركض برعب بعيداً عبر الضباب بعيداً عن ذراعيه الممتدتان لاحتجازها وسجنها.

«يا الهي ساعدني، لا، لا» صرخت بشدة وأحست بيد تربت على كتفيها ففتحت عيونها بذهول لتجد مربيتها ليلى توقظها من النوم.

«ما بك يا ابنتي؟ أهو كابوس مزعج؟» سألتها ليلى بقلق.

أبعدت سيرينا شعرها عن وجهها وجلست وهي تتمتم: «كابوس وأي كابوس...».

«لا بأس إحتسي كوب الحليب الساخن هذا وستكونين على ما يرام».

«ليلى . . .» ترددت سيرينا بالتحدث للحظات ثم سألت المربية العجوز: «هل تعرفين السبب الذي جعل جدي يطرد فرانك واغنر وطفله من المزرعة؟».

نظرت إليها المربية بدهشة قصوى: «بالله عليك ما الذي أتى بهذا الموضوع على رأسك الآن؟».

«انه . . . انه مجرد استطلاع».

«إستطلاع عمره ثلاثون سنة» تابعت المربية: «حسن، لقد كان الأمر كما أخبروني يتعلق بأخلاق وتصرفات فرانك واغنر».

«ماذا يعني هذا؟».

«يعني ما يعنيه هيا إحتسي الحليب الآن وانهضي فهناك الكثير أمامك لتفعليه».

«حقاً؟».

«أجل لقد مضى أسبوع على عودتك من استراليا والدلال قد انتهى. عليك البدء الآن بمساعدتي بالاهتمام بوالدك وبالاهتمام بالمنزل».

«آه ليلى الحبيبة انت لن تغيري عاداتك مطلقاً» قالت سيرينا بتبرم مرح: «عندك السيدة بلاك مديرة المنزل وهناك السيد ستنغ الذي يهتم بكل شؤون والدي وتريدين مني المساعدة. إنني أنا من هي بحاجة للمساعدة».

«كيف؟».

«لأنني أفكر بشراء كوخ صغير في البلدة حيث سأقيم به بمفردي. هذا المنزل أصبح مكتظاً بالنسبة لي. فرناندو قد تزوج وهو وزوجته ينتظران المولود الجديد ووالدي بجناحه

السفلي مرتاح وسعيد».

«المنزل واسع جداً ويتسع لنا جميعاً».

«أفضل العيش بمفردي ليلى بعد كل ما مر بي لقد اعتدت على قضاء الوقت بمكان منفرد حيث أشعر بالراحة والسعادة».

«معك حق يا حبيبتي، صدمة موت زوجك ستيف بعد أشهر فقط على زواجكما كانت مروعة. لا أزال أقول حتى هذا اليوم انه لو لم يصعد بتلك الطائرة بتلك الأمسية الشتوية اللعينة لما حدث ما حدث».

«ذلك هو نصيبه ليلى، قدره ومكتوب عليه». ردت سيرينا بمرارة.

«هذا صحيح. أخبريني الآن لنغير هذا الموضوع الحزين كيف كانت إقامتك في استراليا عند عمك روبرت؟ لا شك انها كانت! إقامة ممتعة حتى تقضي هناك سنتين كاملتين».

«في الحقيقة لقد أحببت استراليا فور وطئت قدمي أرضها. وكان عمي وزوجته لطيفان جداً ومتفهمان جداً للحالة النفسية التي كنت أمر بها بعد وفاة ستيف. وقد أشركني عمي فور وصولي بالمكتب الهندسي الذي يملكه كمهندسة ديكور مختصة بالتزيين الداخلي وسرقني العمل وسرقتني البلاد الجديدة ولو لم يضطر عمي لنقل أعماله إلى كندا لكنت ربما لا أزال هناك حتى الآن».

«لا، لا هكذا أفضل لقد إشتقنا كثيراً لك ولو تتصوري كيف هو المنزل دونك. السيدة كارول دائمة التأفف والتذمر

وزاد الطين سوءاً حملها الجديد اذا تحرك الطفل قليلاً في أحشائها تشعر بالألم اذا تألمت في ظهرها قليلاً تظن أنها مريضة توشك على الموت. في الحقيقة الله يساعد شقيقك عليها. لو كانت عندي لما كنت تحملتها ولا ليوم واحد».

قهقهت سيرينا ورمقت المربية بنظرة تأنيب وقالت: «يا لك من عجوز ثرثارة ليلى، لو سمعتك كارول لجن جنونها».

«أنا أقول الحقيقة دوماً ولا أعتقد انها تحبني حتى دون ان تسمع رأيي بها فهي مجرد إمرأة دلوعة لاهية ومتأففة دوماً».

«يكفينا هذا لهذه الصباحية» قالت سيرينا ونهضت من فراشها: «يجب أن أستحم وأنزل للإطمئنان على والدي».

فعلت سيرينا ما قالته ووجدت أن والدها بحالة جيدة فهو كان قد جاوز الستين من العمر ولم يعد باستطاعته السير إلا على كرسيه المتحرك وكان لا يغادر المنزل إلا نادراً حين يصطحبه خادمه وممرضه الخاص السيد ستنغ الى الحدائق المجاورة بنزهة قصيرة. لكن ما أقلقها ان والدها كان يغيب أحياناً بأمواج ذكرياته ويتكلم وكأنه يعيش فعلاً بتلك الذكريات وكأنه يرى والدتها المتوفاة أمامه ويتحدث معها، لكن الطبيب طمأنها ان هذه ليست حالة خطيرة لأن والدها أصبح بسن متقدم وبقاؤه في المنزل مع ذكرياته وصوره القديمة تجعل كل شيء حوله متعلق بالماضي وأحداثه.

ذهبت سيرينا بعد ذلك الى غرفة الطعام لتناول طعام

الغداء.

كانت كارول تجلس على طرف المائدة بجانب زوجها داني فحيتهما سيرينا وجلست على مقعدها.

«آه يا سيرينا، أنصحك بعدم الزواج وعدم الإنجاب يكاد هذا الطفل ان يقضي علي» قالت كارول بتعب فور جلوس سيرينا.

«هوني عليك كارول، لست أول من يحمل ولن تكوني الأخيرة». قال داني لها مواسياً.

«آه، وما يهمكم أنتم معشر الرجال، تكتفون فقط بالحصول على حصتكم من المتعة ثم تتركون كل الألام والأوجاع لنا نحن. طفلك هذا سيجلب لي آخرتي. أشعر بهذا في أعماقي».

«لا تبالغي كارول آلام الحمل لا تتسبب بالموت أبداً انت فقط تعظمين الأمور» قالت سيرينا بلطف.

«قولي لها هذا سيرينا عزيزتي» سارع داني للموافقة: «اذا كانت الآن وتقول هذا الله وحده يعلم ماذا ستقول أو تفعل ساعة الوضع».

«آه بربك داني لا تذكرني أنا أتناسى هذا الموضوع الآن لأنه لا يزال أمامي شهرين ونصف، ولكن حينها آه لا... لن أفكر بالذي سيحدث حينها، مجرد التفكير بالأمر يرعبني ويشل تفكيري».

صمتوا لأن الطعام قد وصل لكن سيرينا لاحظت قلق شقيقها واضطرابه وكان ينظر الى الساعة بين الحين والآخر وعيونه تعكس مدى توتره.

«هناك شيء ما في الأفق» رددت سيرينا بنفسها: «سأتحرى عن ذلك حين يعود داني من العمل هذا المساء».

أمضت سيرينا فترة بعد الظهر وهي تكمل مشروع الديكور الداخلي الخاص لغرفتها وحين وصل داني نزلت الى غرفة الجلوس للتحدث معه.

رفع داني اليها عيونه المتكدرة وجبينه المتغضن ثم ابتسم لها باطمئنان قائلاً: «سيرينا أهلاً، تعالي وانضمي لي بتناول فنجان من القهوة».

«هذا ما أنويه فعلاً» قالت بجدية: «داني انت تخفي عني شيئاً لا تتظاهر أو تدعي العكس. أنا أعرفك جيداً هيا قل لي ما الأمر».

ابتسم داني بتوتر وقال: «أي أمر؟ انت تتوهمين الأشياء سيرينا».

«كلا لا أفعل هناك أمر يضايقك وأنا واثقة من ذلك».

تردد داني بالكلام وظل ينظر الى الأرض بشرود.

«هيا داني أنا شقيقتك الصغرى وعليك إطلاعي على كل ما يشغل بالك انت تعرف ان لا أحداً لنا غير بعضنا البعض، هيا قل لي ما يزعجك سيجعلك هذا تشعر بالارتياح».

صمت داني لفترة ثم نظر اليها وقال: «لا تشغلي بالك يا حبيبتي، هناك فعلاً أمر يشغل بالي لكن عندي موعد هذا المساء آمل ان أتمه بنجاح وأن يستجيب الرجل المعني لطلباتي وحينها سيسير كل شيء على ما يرام».

«أعرف كم انت عنيد حين تصمم رأيك على أمر ما. اذن انت لن تطلعني على الموضوع».

«آسف سيرينا، لربما ليس الآن على الأقل». قال داني بصوت حزين.

أثار هذا فضول سيرينا أكثر وأكثر فسارعت لتقول: «حسن سأكتفي فقط بإطلاعك لي على إسم الشخص الذي ستتقابل معه».

«لا أستطيع إطلاعك على هذا أيضاً».

تابعت سيرينا بإلحاح: «إذن قل لي متى ستلقاه وأين؟».

«الموعد مساء الغد سيأتي لاصطحابي من هنا».

«اذن سأتمكن من رؤيته رغم كل شيء».

«كلا فقد أخبرت كارول انك ستصطحبينها الى زيارة آل ميرديت مساء الغد وقد سعدت لذلك لأن فرانشي ميرديت هي صديقتها الحميمة».

«يا لك من محتال داني اذن انت تصر على التكتم بهذا الأمر».

«أجل».

«هذا يثير فضولي أكثر داني. أرجوك قل لي شيئاً واحداً هل انت في ورطة كبيرة؟ هل أستطيع مساعدتك بأية طريقة؟».

أطرق داني ساهماً لدقائق قبل ان يقول بصوت ضعيف: «أنا فعلاً في ورطة كبيرة... وأشك ان بإمكان أي شخص مساعدتي».

هذه كانت كل المعلومات التي استطاعت سيرينا ان

www.elromancia.com

تحصل عليها من شقيقها وهذا كان كافياً لجعلها تشعر بالقلق والتوتر وأنبأها حدسها أن أمراً جللاً قد حدث أثناء غيابها أمر قد يتعلق بالكابوس الذي حلمت به هذا الصباح. الكابوس الذي رأت به وجه غابريال سميث البغيض وذراعيه وهما تحاول القبض عليها. حاستها أخبرتها ان هناك علاقة بين الأمرين.

www.elromancia.com
مكتبة رومانسية

- ٢ -

أغمضت عينيها لاحقاً وهي تجلس على شرفة غرفتها تراقب جمال الحديقة والربيع الممتد في الأسفل حين عادت الى ذاكرتها ذكرى ما حدث لها مع غابريال سميث قبل سنوات أربع. كانت وفقاً للعداء القديم المستشري بين عائلة سميث وعائلتها تتجنب التقائها مع غابريال سميث هذا وكان الجميع يعرف انه حيثما يتواجد غابريال سميث فلن يتواجد أي فرد من أفراد عائلة بلانش، لكن كونه العازب الثري والوسيم جداً فقد كان الجميع يدعونه الى حفلاتهم ومناسباتهم الخاصة. ووجدت سيرينا انها اذا أرادت ألا تصادفه فسيكون عليها ان تقبع داخل منزلها دون الخروج منه. ولهذا فقد وجدت نفسها مضطرة للإلتقاء به عند الأصدقاء والأصحاب لكنها كانت دوماً تبعد نظرها عن

الجهة التي يكون متواجداً بها وإذا تصادف واقتربت منه فكانت تكتفي برمقه بنظرة احتقار وبرود ثم تتابع سيرها. وفي كثير من المرات كان الآخرون يقدمونهما لبعضهما البعض كانت تكتفي بهز رأسها بكبرياء والابتعاد عن مكانه بعجرفة ونفور. لسوء الحظ يبدو ان تصرفها النافر المتكبر والبادي الكره هذا نحوه قد جعله ولسبب ما منجذباً اليها. كانت الكثيرات من أجمل الفتيات يحمن حوله كما تحوم الفراشات على المصباح وكان هو بثرائه الفاحش وشبابه وجاذبيته الطاغية وسيارته الفاخرة يشكل مركز الالتفاف لكل الجميلات والشابات. لكن نظراته كانت دوماً تتركز عليها هي حيثما تواجدا سوياً بنفس المكان. نظرات لعيون سوداء واسعة كانت تسبب لها بعض الخوف والكثير من الغضب والحنق. كيف يجرؤ على التحديق بها هكذا، كيف يجرؤ على محاولة التودد اليها رغم كرهها الواضح له ونفورها منه. هل نسي العداوة بين عائلتيهما؟؟ هل نسي الماضي؟ اذا فعل فهي لن تنسى أبداً، أبداً!.

اذا واصلت ابقاءه على مسافة بعيدة فهو في النهاية سيمل منها ومن ممارسة لعبة الفأر ـ والقط هذه معها، قالت لنفسها مطمأنة.

لكنها كانت مخطأة بهذا الشأن ـ مخطأة تماماً. ولهذا كانت تعرف ما هي نوايا غابريال سميث بالضبط، وما كان يخطط له بالضبط لباقي أعضاء عائلة بلانش.

ارتعشت وضمت ذراعيها حول صدرها بدفاع، وهي تتذكر أحداث تلك الأمسية الخريفية فوق برستول، حيث

اكتشفت وبنفسها كم كان هو عدواً بلا رحمة وبلا قلب...

«اللعنة!» صرخت سيرينا وحدقت بإطار سيارتها المثقوب وقلبها يُعتصر: «يا له من وقت للحصول على إطار مثقوب» تمتمت لنفسها.

المطر كان ينهمر بغزارة حين أحضرت العفريت وأخذت تحاول ان تركزه في مكانه لترفع سيارتها الداتسون الصغيرة. لم يكن قد سبق لها وغيرت الإطار من قبل وبالطبع مشاهدة غيرك يفعل هذا أسهل بكثير من ان تقوم بالعمل بنفسك. المياه كانت تبلل شعرها الأشقر وتلصقه برأسها وكانت تتوقف بين الفنية والأخرى لتبعده عن وجهها.

يا ملاكي الحارس أرجوك أرسل لي من يساعدني وأعدك ان آخذ دروساً بصيانة السيارة وتركيب الدواليب منذ الغد. توسلت وهي تصارع لتثبيت العفريت في مكانه.

بنفس اللحظة تقريباً اقتربت سيارة فيراري من المكان وتوقف صاحبها على جانب الطريق استعداداً للنزول ومساعدتها.

ابتسمت بأمل مرحبة بالمنقذ القادم لكن الابتسامة ماتت على شفاهها حالما عرفت هوية هذا المنقذ.

«أتواجهين المتاعب؟» سألها غابريال سميث برقة وهو ينزل من مكانه ويزر معطفه المقاوم للمطر.

«أستطيع تدبر أمري، شكراً لك». قالت سيرينا بإختصار.

«اذن هذه طريقة جديدة مبتكرة بتغيير الاطار» قال وهو

www.elromancia.com

يمد يديه حول صدره ويتكأ بقامته الطويلة الأنيقة على سيارته: «يا للروعة! آمل ان تسمحي لي بالمراقبة».

بالرغم من رغبتها بإسقاطه أرضاً بضربة بالعفريت مثلاً، لم تجد سيرينا أية وسيلة أخرى لمنعه من ذلك. رمته بنظرة غاضبة ثم صرت أسنانها وركعت لتثبت العفريت المطر كان ينهمر بغزارة أكثر وأكثر وشعرت أن المياه الباردة قد اخترقت ملابسها ووصلت الى عظمها مما جعلها تشعر أكثر بعدم الارتياح وبالانزعاج.

«لا يبدو ان طريقتك المبتكرة سريعة» علق الصوت المكروه أخيراً.

«لا أحب ان يكون عندي مشاهدين».

«اعتقد انك لا تحبين ان أكون انا بالذات من المشاهدين». لم تكن تنظر اليه لكن حدسها أخبرها انه كان يبتسم بخبث: «هيا، آنسة بلانش، لم لا تبتلعين كبرياؤك اللعين وتقولين ساعدني؟».

«أنا لم أطلب منك التوقف».

«انت لن تطلبي مني رمي حبل النجاة اليك لو كنت تغرقين. وهذا ما سيحدث لك اذا استمر هطول الأمطار بهذه الغزارة ـ أو قد تموتين بالنزلة الصدرية».

مشى اليها ووضع يديه خلف ذراعيها ورفعها على قدميها بدون مقدمات.

«اتركني، وشأني» سحبت نفسها بعنف من بين يديه.

«سأفعل ـ حالما أغير إطارك المثقوب هذا».

ركز العفريت مكانه بسهولة وسرعة جعلتها راغبة بقتله.

«اذهبي واجلسي في سيارتي وجففي نفسك قليلاً أمرها من فوق أكتافه: «اذا فتشت بالحقيبة الرياضية في المقعد الخلفي فستجدين منشفة».

الغريزة كانت تحثها لاجابته بتكبر فإنها تفضل البقاء مكانها، لكن العقل والمنطق تدخلا، مذكرينها انه بمثل هذا الطقس كانت لتفضل تجفيف وجهها بأي شيء ممكن وأن تبتعد عن هذا الرجل بأي طريقة.

داخل الفيراري كان يعبق برائحة الجلد الممتزجة برائحة العطر الرجولي الثمين.

شمت سيرينا الرائحة بتلذذ وهي ترتعش قليلاً وهي تتناول المنشفة من الحقيبة الموجودة قرب التنس الكبير خاصته. المنشفة وباقي الأشياء داخل الحقيبة كانت غير مستعملة بعد مما يعني انه كان في طريقه الى النادي المحلي. ولكن اذا كان هذا صحيح فما الذي جعله يمر من هذا الطريق فيما هناك طرق مختصرة اخرى تؤدي الى ذلك المكان؟ ترددت قليلاً قبل استعمال المنشفة، فهي تعود له وهي لا تريد ان يكون لها اية علاقة قريبة او بعيدة بأي شيء يملكه. لكنها لا تستطيع التهرب من حقيقة تساقط الماء من شعرها ووجهها وبعد لحظات أخذت تجفف رأسها ووجهها ببعض الحظ قد يصاب هو بالنزلة الصدرية. فكرت وهي تنظر عبر الزجاج نحوه. وكأنه قد شعر بنظرتها فقد رفع رأسه وحيّاها بابتسام.

بحنق وغضب رمت سيرينا المنشفة الى الكرسي الخلفي واتكأت على ظهر المقعد. كان والدها يقود سيارة

www.elromancia.com

مثل هذه حين كانت هي طفلة، تذكرت، ولطالما أحبت الركوب بتلك السيارة.

كانت تجلس مع والدها في المقعد الخلفي حين رأته للمرة الأولى، تذكرت وهي ترتعش بكره خالص.

ظهر الآن هو بجانب. «لقد تم تغيير إطارك سيدتي، لا تنسي ان تصلحي الإطار المثقوب».

«أنا قادرة تماماً على تدبر هذا الأمر بنفسي» ردت بحدة.

«بالطبع» قال وجلس على مقعد السائق ورماها بنظرة طويلة. عيناه كانتا سوداوتين وجدت نفسها تلاحظ للمرة الأولى. عيون سوداء، صلبة كالحديد وباردة كالأبنوس.

«أرجوك لا تغمريني بالشكر».

احمر وجه سيرينا للتهكم في صوته.

«شكراً لك» قالت بتصلب: «كان ـ من حسن الحظ انك تمر من هنا».

«أنا أستعمل هذا الطريق غالباً» أجابها: «أحب منظر وادي برستول من هنا».

«اذا استطعت ان تراه اليوم فلا شك انك تملك نظر بأشعة ـ اكس».

«لا داعي لأراه» قال بنعومة: «أعرف ما يوجد في الأسفل عن ظهر قلب. لطالما عرفت ذلك».

أشار عبر الضباب والغيوم: «الى يمينك هناك النادي المحلي. حالما تنزلين الى الوادي هناك أبراج معمل البلاط. انها الشيء الأول الذي يلاحظه الناس، وهذا كان

هدف جدي الأول حيث بنى تلك الأبراج. ثم هناك المزرعة، والتي أصبحت بالمرتبة الثانية على ما أخشى» توقف قليلاً كأنه يتوقع رد ما، تجاوب ما وحين لم ترد تابع: «وأخيراً الى الشمال بعيداً كفاية عن تلوث منازل العمال في برستول، بعيداً جداً ومنعزلاً كأنه يريد الاختباء، هناك منزل آل بلانش».

حين ابتسم أسنانه كانت بيضاء، ناصعة، ابتسامة الباشق، فكرت سيرينا وقد أخذ قلبها ينتفض بقوة وحدّة.

«هذا هو كل ما أملك» قال: «وكل ما أنوي أن أصبح مالكه قبل ان أنتهي. بمن فيهم انت سيرينا بلانش، انت أيتها اللعينة الجميلة العدائية».

للحظة ظلت جالسة تحدق به بالكاد قادرة على استيعاب ما قد سمعته للتو. ثم،

«كيف تجرؤ؟» بالكاد استطاعت النطق بالكلمات عبر حنجرتها المتصلبة.

رمى رأسه الى الوراء وضحك.

«قول المهذبون المؤدبون» سخر: «الشابة العريقة المهذبة توبخ حديث النعمة. من الرائع ما يعلموك إياه بمدارس الأثرياء الغافرة تلك؟».

«أعتقد انك دون شك مخبول» قالت سيرينا وهي تفتش عن اكرة الباب: «أرفض الاستماع للمزيد من هذه الترهات».

«ليس عليك ذلك» قال بهدوء مما سبب الغيظ الأكبر: «أنا أريدك، وسأحصل عليك. لا شيء! إضافي ليُقال».

www.elromancia.com

«حسن، من المستحيل ان تكون على خطأ أكثر من هذا» ردت سيرينا عليه بحدة.

كانت ترتعش من رأسها حتى قدميها وجاهدت لإبقاء صوتها ثابتاً: «عندي أشياء قليلة لأقولها أنا بدوري، وأولها انني لن آخذك غابريال سميث حتى ولو قُدمت لي ملفوفاً بورق السيلوفان».

كان لا يزال يبتسم: «وما الذي تعرفينه حول هذا؟» سألها بنعومة: «ما الذي تعرفينه عن أي شيء. آنسة بلانش، ما عدا كبرياؤك ورؤيتك الخاصة بك حول الماضي؟» هز رأسه قليلاً ونظرته متشابكة مع نظرتها: «لقد حان الوقت لتبدأي التفكير بالمستقبل، ولهذا فلنضع أفكارك بالإتجاه الصحيح».

رفض الباب ان ينفتح بسبب خوفها وارتعاشها. لا شك انه كان مقفولاً بقفل مركزي حاجزاً اياها هنا معه.

متقلصة بزاوية مقعدها، رأت سيرينا غابريال سميث يقترب منها، شعرت بأكتافها تسحب بدون لطف وجسدها كله يُشد نحوه بقوة. الابتسامة كانت قد تلاشت من وجهه وعيناه السوداوتين التمعتا بشيء يختلف عن التسلية. شيء بالكاد فهمته، لكن بغرابة خافته وارتعبت منه.

قالت بشبه بكاء وبشهقة: «لا... آه... لا»، ثم كان فمه على فمها وكل الاحتجاجات الأخرى تصلبت.

لا شيء بتجاربها المحدودة كان قد حضّرها لقبلة غابريال وما كان أي شيء ليفعل. كان يمسك بها بعنف ساحقاً جسدها بذراعيه جاعلاً رأسها الرطب ثابتاً فيما شفتاه

تمتصان شفتاها بقسوة، بجوع... ولا نهاية.

لم تستطع التنفس. رائحة جلده ملأت خياشيمها بألفة مفاجئة. أضواء صغيرة لامعة رقصت خلف رموشها المغلقة. شعرت بالوهن وأنها كلياً تحت رحمته. شعرت أنها على وشك الاغماء، ومع الفكرة اجتاحتها موجة من الغضب والاحتقار لضعفها هي.

تمتم قرب شفتيها: «إفتحي فمك». بومضة رأت خلاصها. ظاهرياً أطاعت. شعرت بتنهيدته الراضية، شعرت بتراخي ذراعيه قليلاً من حولها حتى يشدها بلين أكثر الى صدره، وحالما استرخى عضت شفته بقسوة غارزة أسنانها بشفته السفلى. أبعد غابريال رأسه لاعناً ورافعاً يده بعدم تصديق الى فمه النازف.

«أيتها المتوحشة الصغيرة!».

«حاول ان تشرح ذلك لإمرأتك الأخيرة». ردت سيرينا بحدة: «ومن الأن وصاعداً، ابقى بعيداً عني».

تناول فوطة من جيبه ووضعها على الجرح النازف. ولغضبها وجنونها أخذ يبتسم بخبث.

«ليس الآن وقد تذوقت الملذات التي قد تأتي يا عزيزتي».

«لن تحصل على أي شيء إضافي مني طالما حييت! من الصحيح انك قد استغليت الوضع اليوم، لكني سأتأكد من ألا يحدث هذا مجدداً».

«آه، لكنه سيحدث» قال بنعومة: «قد أكون قد خسرت بالجولة الأولى، لكن الحرب قد بدأت للتو. وأنا أحذرك،

www.elromancia.com

لا شيء غير استسلامك الكامل سيكفيني».

أخذت نفساً سريعاً خانقاً وهي تحدق به.

«انت لا شيء سوى حيوان متوحش، غابريال سميث».

رفع الفوطة الملطخة بالدم وحدق بها بغموض قائلاً: «اذن، أنا قد إخترت الرفيقة المثالية والصحيحة!».

«انت لم تختر أحد ولم تختر أي شيء. من الآن فصاعداً إبتعد عن طريقي!» استدارت لتعالج الباب مجدداً ولراحتها انفتح.

«طرقاتنا مكتوب لها ان تلتقي» تبعها صوته وهي تخرج من السيارة: «اذا لم تعرفي هذا من قبل فستعرفينه الآن. لذا قودي بحذر يا ساحرتي النارية العصبية. حين أرغب نهائياً بفك غلاف هديتي فأنا أريدها ان تكون كاملة».

- ٣ -

وصلت الى سيارتها بطريقة ما وجلست وهي ترتعش بمقعد السائق، منتظرة ذهاب الفيراري وابتعادها في الضباب والمطر.

رفعت اصبعاً حذراً ولمست خطوط فمها. شفتاها كانتا متورمتين، لكن الجرح الأعظم كان ما تشعر به من إذلال.

حدقت عبر الواجهة الزجاجية الأمامية، وفكرت، أنا خائفة منه.

ومن شرفتها عادت نفس المشاعر اليها وسمعت نفسها تقول: «أنا خائفة منه...».

عنفت نفسها بشدة لانهزاميتها هذه وقالت ان كل ما تتوهمه قد لا يكون صحيحاً وقد لا يكون هناك أية علاقة بين غابريال سميث وبين ما يعانيه داني من مشاكل. لكن

www.elromancia.com

القلق ظل مسيطر عليها لسبب ستعرفه لاحقاً وحينها ستتأكد ظنونها.

إستيقظت سيرينا صباح اليوم التالي وشعور من الانقباض يسيطر عليها. إستحمت وتناولت فطورها على الشرفة ثم ارتدت الجينز وبلوزة بيضاء بلا أكمام وأخذت دراجتها من الكاراج وذهبت بنزهة على الأراضي والحقول المجاورة. سارت وسارت الى ان شعرت بالتعب فركنت الدراجة بقرب شجرة على حافة النهر ثم جلست على الحشائش متكئة بظهرها على جذع الشجرة. إسترخت وأغمضت عيونها للحظات حين سمعت صوت خطوات خفيفة بجانبها. أرادت ان تبقي عيونها مغلقة وأن تتابع الاستمتاع بلحظة الاسترخاء هذه فلا شك أن الخطوات لأحد المارة الذي سيتابع سيره الى وجهته لكن شيء ما داخلها دفعها لتفتح عيونها ورأت عبر رموشها الذهبية الطويلة شخص طويل القامة رياضي الجسم بوجه أسمر، تقاطيع جذابة وقوية وعيون سوداء واسعة برمش معقوف وكثيف تحدق بها بتعبير غامض. قفزت فوراً بارتباك وارتعاش لأن من كان يحدق بها كان غابريال سميث بنفسه. هو لا يزال بنفس مظهره رغم مرور ثلاث سنوات على آخر مرة رأته بها. نفس الشعر الأسود اللامع المصفف بعناية، نفس العيون القاسية الساحرة ونفس الخوف الذي يبعثه بداخلها.

«أهلاً بك في برستول مجدداً سيرينا» قال بصوته العميق لافظاً اسمها بطريقة خاصة جعلتها ترفع نظرها فوراً اليه. نفس التعبير الغريب كان يتراقص داخل عيونه.

هزت كتفيها بعدم اكتراث وقالت وهي تتناول دراجتها: «وهل ظننت انني كنت سأبقى بعيدة عن برستول الى الأبد؟».

«للحقيقة أجل، لكن حدسي كان يخبرني دوماً ان هروبك مني لن يطول لهذه المدة وانك آجلاً أم عاجلاً ستعودين الى هنا».

ضحكت دون مرح وقالت بحدة: «هروبي منك؟! انت فعلاً تثير ضحكي بثقتك العمياء هذه بنفسك وبقوتك».

«أنا أفهمك جيداً آنسة بلانش، لقد اعتقدت انك قد نجحت بإبعادي عنك بزواجك من ذلك التعيس السيء الحظ ستيف، مسكين هو لم يعرف انك كنت تستعملينه كدرع للحماية. الدرع الآن قد إنكسر وأصبحت بلا دفاع سيرينا بلانش».

ابتعدت بدراجتها بعيداً بعد ان رمته بنظرة إحتقار وحملت صوتها كل الإزدراء وهي تقول له: «انك فعلاً بحاجة لمساعدة طبية سيد سميث».

طاردتها كلماته وهي تبتعد وهو يقول: «سنلتقي مجدداً سيرينا بلانش، سنلتقي وقريباً جداً، أقرب مما تتصورين».

عادت الى المنزل وضربات قلبها تتسارع من جراء مقابلتها الغير متوقعة هذه لغبريال سميث ومن جراء كلماته لها. انه ورغم عدم اعترافها بذلك له قد تزوجت ستيف لتبعده هو نهائياً عن حياتها. ستيف كان دوماً لطيفاً وقريباً منها كلما احتاجته. مأساة موته كانت قوية لكنها لم تذرف أية دمعة أثناء جنازته والبرقع على وجهها منع الآخرين من

رؤية ذلك. انه على حق هي لم تتزوج ستيف إلا لتهرب منه. اعتقدت ان استلطافها لستيف وحبه لها سيكونان كافيان لبناء حياة سعيدة. لكن ما ظهر كان عكس هذا. ولاحقاً نظرة المرارة المغلفة بالانتصار الساحق التي كانت داخل عيون غابريال سميث أثناء الجنازة جعلتها ترتعش وتقرر السفر الى عمها في استراليا للإبتعاد عن هذا الرجل. هو لم يكن يلاحقها أو حتى يطاردها بل كانت تشعر به دوماً انه موجود قربها انه يقف كالطود المهدد لراحتها، كالعاصفة الهوجاء القادمة للقضاء على صفاء سماء حياتها. وها هو يعود مجدداً الى حياتها لقد سافرت وابتعدت على أمل ان يتعلق هو ويرتبط مع إحدى الفتيات الكثر اللواتي يخرج برفقتهن لكن يبدو انه لا يزال على هوسه العنيد القديم اتجاهها، يبدو انه لا يزال ينتظر لينفذ وعيده لها بتلك الأمسية اللعينة . . .

عادت الى المنزل وشعور الانقباض يزداد داخلها، حالما وصلت أسرعت ليلى اليها وعلى وجهها علامات القلق.

«سيرينا الحمد لله انك قد عدت».

«لماذا ليلى؟ ماذا هناك؟».

«لقد شعرت كارول بالتعب الشديد ويبدو ان الأمر جدي هذه المرة وقد اصطحبها داني الى مستشفى المدينة وقال انه سيتصل بك لاحقاً ليخبرك بالمستجدات».

«بماذا شعرت كارول بالضبط؟».

«ألم كبير في الظهر وظني أنها ستقضي الأسبوع المقبل

في المستشفى حتى ولو كان ما شعرت به عارضاً مؤقتاً. فهي كما تعرفين موسوسة جداً بصحتها وتخشى الألم».

«ومن ذهب معهما الى هناك؟».

«شقيق كارول ووالدتها كاترين».

«أظن انهم سيتغيبون لأكثر من أسبوع ما دامت كاترين معهم فإذا كانت ابنتها موسوسة قيراط فكاترين كذلك عشرون قيراطاً. آمل ان يكون هذا مجرد مبالغة من كارول كما هي عادتها دوماً».

«هذا ما أشعر به أنا أيضاً وأنا أتطلع بشوق الى اللحظة التي ستضع بها مولودها وينتهي الشريط المتأفف اليومي هذا».

رن جرس الهاتف بعد الغداء فرفعته سيرينا بلهفة وكان المتحدث هو داني نفسه.

«داني طمأني كيف هو حال كارول؟».

«الحمد لله كل شيء على ما يرام كان ذلك ألماً لحظياً لأنها تعبت قليلاً في الصباح بالتسوق الذي استمرت به لساعتين. لكن كارول طلبت ان تبقى في المستشفى لمدة أسبوع وأنا سأضطر للبقاء معها هذه الليلة».

«الحمد لله ان الأمر لم يكن شيئاً خطيراً. أتريد ان تخبرني شيء آخر داني؟» سألته وقد شعرت بتوتره.

«أجل سيرينا. لن أتمكن من الحضور الى الموعد الهام الذي أخبرتك به و. . . كنت أفكر لو تذهبين انت مكاني».

«بكل طيبة خاطر داني، فقط أطلعني ما هو الموضوع ومن هو الشخص الذي سأقابل» ردت بسرعة.

www.elromancia.com

فترة صمت امتدت بينهما قطعها داني بقوله: «الموضوع يتعلق بمصنع الغزل والنسيج خاصتنا».

«ما به مصنع النسيج داني؟» سألته بقلق: «لقد توقعت شيئاً كهذا لكن لم أعتقد ان هناك أي مشاكل بالمصنع أعماله كانت مزدهرة وناجحة حين سافرت وهو حالياً مصدر دخلنا الوحيد بعد... بعد خسارتنا لكل ما عداه» أكملت بمرارة.

«كانت أوضاعه ممتازة حين سافرت فعلاً سيرينا لكن الأحوال اختلفت منذ سنة تقريباً لقد تجمد سوق البيع ومات وتخلى عنا العديد من المستوردين واضطررت لاستدانة قرض من المصرف ثم...».

«ثم ماذا داني؟» سألته وهي تشعر بالتصلب بكل شرايينها.

«ثم أخذ المصرف يلح على تسديد القرض وإلا فإنه سيقدم الشيكات المؤخرة الى المحكمة ولهذا فقد اضطررت لاستدانة مبلغ من المال من شخص آخر».

«لا بأس هذه الأمور تحدث عادة في الأعمال التجارية» قالت له مؤاسية: «سوق البيع يتحسن حالياً وستتمكن من رد الدين لأصحابه».

«أجل هذا ما كنت أنوي ان أقوله له هذا المساء وأرجو ان تقومي انت بهذه المهمة عني سيرينا، فقط أخبريه ان ينتظر علي قليلاً وسأرد له كل المبلغ الذي استدنته منه».

«حسن، أين هو الموعد ومع من ؟» سألت سيرينا وقد أحضرت قلماً وورقة.

«الموعد الساعة الثامنة مساءاً في نادي الكاتز والشخص هو... هو غابريال سميث».

سقطت الورقة والقلم من يد سيرينا وكادت ان تسقط السماعة من يدها. للحظة توقف عقلها عن التفكير. الكابوس يتحقق وغابريال سميث هو المنقذ المدعي.

«داني بربك قل شيئاً آخر» صاحت بحدة: «قل انك تمزح، داني من بين كل رجال الأرض إخترت غابريال سميث؟ غابريال سميث داني لتستدين منه المال؟ لماذا؟ لماذا بحق السماء؟».

«هو الوحيد الذي وافق على إقراضي المبلغ بدون فائدة وقد وعدني انه سيكتفي بضمان إعطائه حصة في المصنع وكان هذا أفضل وأحسن حل فوافقت على ذلك».

«ولكن غابريال سميث داني؟» رددت بعدم تصديق: «لقد سمحت له بالسيطرة على آخر معاقلنا داني، سمحت له بالانتصار علينا داني؟ أين كان عقلك وتفكيرك؟».

«ترهات كل هذه الأحاديث عن الخلاف القديم هو مجرد ترهات العمل هو العمل وغابريال سميث اليوم أحد أهم رجال الأعمال في المدينة بأكلمها».

«لكن داني لقد أخذ جده منا مصنع القطن ووالده انتزع منا المزرعة والآن انت قدمت على طبق من الفضة للحفيد غابريال سميث مصنع الغزل والنسيج. هل يعقل ان تفعل ذلك بكل قواك العقلية؟».

«سيرينا كوني واقعية لقد أشرف المصنع على الافلاس طرقت العديد من الأبواب ولم أجد أمامي مفتوحاً سوى

باب غابريال سميث فدخلت. الرجل كان كريماً جداً ونبيلاً معي. لقد عرض علي المبلغ بأكمله وبدون فائدة ولم يحدد لي فترة معينة للتسديد حينها وطلب فقط ان يدخل كشريك في المصنع في حال لم أسدد ديوني قبل مرور ستة أشهر على موعا ع».

«ومرت الستة أشهر دون ان تسدد المبلغ». قالت له بمرارة.

«في الواقع أجل تعرفين مصاريف المنزل ومصاريف الخدم وكذلك مصاريف كارول والطفل بالإضافة الى مدفوعات المصنع للعمال وعلى الآلات والصيانة».

«كيف لم تطلعني على كل هذا من قبل داني. أنا أيضاً شريكة بالنصف بالمصنع».

«لقد كنت بعيدة ومشغولة وكان الوضع هنا صعب جداً ولم أجد منفذ آخر للخلاص».

«انت أحمق وستبقى كذلك طوال عمرك داني» قالت له بغضب.

«لكن أتمنى لو انك كنت هنا مكاني لكنت رأيت ما الذي كنت ستفعلينه حينها. أنا لا أطلب منك المستحيل الآن. فقط قابليه أخبريه أنني سأرد له كل المبلغ بغضون ستة أشهر وضع العمل يتحسن وسأوسع أسواق البيع خلال الشهر المقبل».

«أنا أقابل غابريال سميث؟؟» قالت بعدم تصديق.

«هيا سيرينا هو لن يأكلك لا تكوني جبانة لا داعي لتخافي منه».

أثارت كلماته غضبها فقالت بحدة: «لست جبانة ولا أخاف منه سأقابله وأقول له فقط ان ينتظر عليك لفترة من الوقت».

«الى اللقاء سيرينا شكراً لك يا أختي الحبيبة. أراك في الغد».

وضعت سيرينا السماعة مكانها والأفكار تتضارب داخل رأسها هي ستقابل غابريال سميث وستكون بموقف الضعيف. لا، لا دخل لها بكل ما جرى بينه وبين شقيقها. ستكتفي فقط بنقل كلمات داني له وليتدبرا معاً شؤونهما الخاصة، لطالما كان داني يوقع نفسه بالمشاكل والورطات وكان والدهما يُخرجه منها. والدها الآن بحالة لا تسمح له بمساعدة أي شخص هو نفسه بحاجة للدعاية والمساعدة والحماية اذن لا يوجد غيرها هي لإخراجه من مشاكله الحالية. ستكون قوية ولن تسمح لغابريال سميث بمس أي فرد من عائلة بلانش فليساعدها الله وكل الملائكة للتغلب على الشيطان المسمى غابريال سميث.

نظرت الى ساعتها ووجدت انها السادسة والنصف أمامها ساعة فقط للإستعداد للمقابلة اللعينة هذه. انتهت من تحضير نفسها ونظرت الى المرآة نظرة أخيرة قبل ان تستجمع شجاعتها وتغادر الغرفة.

كانت البذة السوداء الرسمية بتنورتها الضيقة القصيرة والجاكيت ذات صفي الأزرار الذهبية تظهرها كسيدة الأعمال الكاملة وضعت إيشارباً معرقاً صغيراً على رقبتها ورفعت شعرها الأشقر الذهبي الطويل بكعكة أعلى رأسها.

عيونها الخضراء كانت تلمع بتحدي وهي تقود سيارتها نحو النادي المذكور. ستقول له الكلمتين وتغادر ولن تضطر لرؤية وجهه البغيض مجدداً. ستشتري الكوخ الصغير الذي عاينته في البلدة المجاورة وتبتعد عن داني وكل مشاكله. والدها يحظى بعناية فائقة من قبل السيد ستنغ وليلى وستأتي هي للإطمئنان عليه كل يوم ستتابع حياتها وعملها بهدوء ولن يشكل شبح غابريال سميث أي تهديد لها.

صممت رأيها على هذا وغادرت السيارة متجهة الى النادي. إستقبلها مدير الاستقبال فوراً وسار بها الى حيث ينتظرها السيد غابريال سميث. طرق المدير الباب ودخل معلناً عن وصول السيدة سيرينا بلانش. لحظات ودخلت هي ثم خرج مدير الاستقبال وظلت هي وحدها مع الأسد.

«مساء الخير سيرينا» قال صوته العميق البارد: «ها قد التقينا بأسرع ما توقعت».

- ٤ -

ردت بنفس النبرة الباردة: «لربما ترغب بالدخول بالموضوع مباشرة».

هز رأسه بابتسامة ساخرة وقال: «أنا واثق ان شقيقك قد أطلعك على التغييرات التي حدثت هنا أثناء فترة... فترة حدادك».

هزت سيرينا كتفيها: «فهمت انك شريك الآن بمصنع الغزل والنسيج لكن ما جئت لأقوله لك على لسان داني هو ان تنتظر بضعة أشهر أخرى وسيكون المبلغ بأكمله عندك وسيد...».

قاطعها قائلاً بنفس النبرة الجامدة: «الأمر أكثر من مجرد هذا، فيما يختص بالمال أنا مالك مصنع الغزل والنسيج وأنا غير مستعجل على قبض المبلغ المستدان. هناك أمور أكثر

www.elromancia.com

أهمية بيني وبين داني».

نظرت اليه بذهول وسألت وحنجرتها تجف: «اذن ما هو الأمر؟».

«الأمر أخطر بكثير من مسألة المال ومصنع النسيج لا شك ان شقيقك المصون لم يخبرك انه قد استدان مبلغ خمسون ألف دولاراً من أحد المرابين بالبلدة وأنه قد رهن منزلكم كضمان مقابل المبلغ. لقد استعمل داني المال لشراء صفقة آلات جديدة للمصنع ولسوء حظه وحسن حظي ربما إتضح ان الآلات وصلت فاسدة وانه وقع ضحية محتال عالمي إحتال على العديد غيره من التجار. المحتال هذا في السجن في ايطاليا الآن وشقيقك خسر الخمسون ألف وسيخسر المنزل عاجلاً. فالمرابي لن ينتظر ولا أسبوع ليسترد ماله وهذا سيتم بالطبع عبر بيع منزل آل بلانش. هذا أولاً...».

الصاعقة أصابتها وتجمدت الدماء في عروقها منزلهم هم معرض للبيع ما الذي سيحل بوالدها اذا عرف انه سيرمى في الشارع دون مال أو حتى كرامة؟ ماذا سيحل بشقيقها وزوجته حين يعرفان انهما قد صارا على الأرض يا حكم؟ كل هذا أولاً ماذا قد يكون ثانياً؟؟.

ظلت تحدق به ولسانها عاجز عن النطق. عيونها المتوسعة المتساءلة وحدها كانت تسأله ما هو ثانياً؟.

وكأنه فهم ما تسأله عيونها فقد قال: «ثانياً! لقد اكتشفت ان شقيقك المسكين قد إختلس مبلغاً من المال من خزينة المصنع دون إخباري بذلك. وكوني الشريك بالثلثين الآن

في المصنع فأنا أستطيع وبكل سهولة تقديم داني بلانش الى المحكمة بوصفه مختلس لأموال الشراكة...».

لحظات ثقيلة مرت قبل ان تقول بصوت جليدي مذبوح: «أعتقد ان ما تقوله غير صحيح... انك تختلق كل هذا لو كان داني يعرف بأن هذا ما سيحدث لكان أتى اليك بنفسه ولم يرسلني أنا مكانه لأعرف كل هذا».

«هو بالطبع يجهل معرفتي بكل هذه الأمور ويعتقد نفسه آمناً هذا ما أردته ان يعتقده في البداية».

«وما الذي جعلك تغير رأيك؟».

«انتِ» قال بنعومة: «انت عدت للمنزل ثانية سيرينا. وهذا يغير كل شيء».

«لا أستطيع ان أجد الصلة» صوتها كان مبحوحاً لكن أجراس الانذار أخذت تدق داخل رأسها.

ابتسم لها وقال: «لا أيتها الجميلة انت تعرفين الصلة هذه تماماً. لقد وضعت الحاجز بيني وبينك بزواجك من المرحوم ستيف. ثم هربت بعد هذا مني الى استراليا. لقد إنتظرتك لفترة تفوق إنتظاري لأي شيء آخر في حياتي سيرينا، وبصراحة بدأ صبري ينفذ».

«يا لسوء حظك» قالت بكل احتقار وإزدراء: «أخشى انه مكتوب عليك الاستمرار بالانتظار لوقت طويل آخر، الى الأبد في الواقع».

هز غابريال رأسه: «لا يا عزيزتي انت لا تفكرين بوضوح، كما قلت فعلاً كان يجب مفاتحة داني بهذا الموضوع حول المرابي والاختلاس لكن في الحرب

تستطيعين استعمال كل الأسلحة المتوفرة لك. اذا أردت الانتصار. وأنا لا أريد أي شيء أقل من الانتصار الكامل».

كورت سيرينا قبضتيها وقالت بحدة: «سأراك في الجحيم...».

«وأنا وانت سنرى شقيقك في السجن مكبلاً بالحديد وسنرى والدك المقعد في الشارع كالمتسولين. لا أحد سيلومني على ما سأفعله. لقد تصرف شقيقك العزيز كأبله غير مسؤول في حقل عمله وكأحمق مهمل في حياته الخاصة. يجب ان يردع عند حد قبل ان يجر نفسه وكل من حوله الى الهاوية أكثر وأكثر».

توقف ثم تابع: «من ناحية أخرى مجرد تهديده بذلك قد يكون صدمة كافية له، والأبوة الحنونة قد تبقيه هناك».

«وماذا يهمك انت؟» سألته بمرارة: «انت من ساعد بدفعه نحو الهاوية. لقد إستغليته وتلاعبت به على طول الخط للوصول الى أهدافك المقرفة...».

التوى فمه: «حقاً؟ اذن يا لمدى حماقة داني لسماحه لي بهذا، أليس هذا ما تعتقدينه؟».

«هو ليس بمستوى منافستك... هو لم يكن كذلك مطلقاً. هو لم يدرك ما الذي كان يحدث له».

رد غابريال: «أتقصدين انك لم تحاولي تحذيره؟ يا لقلة بعد نظرك».

«بالطبع حاولت» قالت بألم غاضب «لكنه لم يستمع لي، وكان الأوان قد فات على كل حال. هو قد قدّم لك مصنع النسيج على طبق من الفضة، الغبي الساذج

الأحمق. أعتقد ان عرضك له بمساعدته مادياً يعني انتهاء النزاع بين العائلتين».

«وهذا ما سيحدث قريباً جداً» قال بنعومة: «كيف بإمكان كل تلك العراكات ان تبقى مهمة لك بعد مرور كل هذا الوقت؟».

ابتسم: «لطالما قال جدي ان الانتقام طبق مفضل حين يكون بارداً».

«أجد هذه فكرة تدعو للإشمئزاز».

«هل سيكون هذا دفاعك الجديد - يا سيدة الحقوق؟» بدا متسلياً: «لن يؤثر هذا بي مطلقاً».

«أنا واثقة انه لن يفعل». رفعت يدها بحركة عصبية ومسدت شعرها فوق أذنها: «أعتقد انك هنا لتناقش شروطك. لا أعرف متى سيتمكن داني من المجيء...».

«لا داعي لوجوده» برقت العيون السوداء لها: «كما وأصبحت تعرفين دون شك، الشروط التي تتجول برأسي تتعلق - بك وبي فقط. وأقترح مجدداً، ان تجلسي».

قالت بصوت مخنوق: «أفضل البقاء واقفة. قل ما عندك وسأذهب».

هز كتفيه ونهض بدوره بحركة واحدة. كحيوان غابة يستعد داخلياً للهجوم والقتل.

«لقد قلت لك طلباتي قبل سنتين سيرينا. انها لم تتغير، أنا أريدك» نظر اليها بعمق: «تعالي إلي وسأتنازل عن كل ديون داني لي وكذلك سأدفع له ديون المرابي».

«تصلبت سيرينا بوقفتها وقد انخطف اللون من وجهها.

www.elromancia.com

كان الأمر كأنها تقف على المقصلة، وهي تدرك انها بريئة لكنها تسمع الحكم عليها بالإعدام. أرادت ان تصرخ بقوة ان تضربه بغضب واحتقار لكن حس صغير داخلها حذرها على البقاء باردة ـ على الاستمرار بالحديث ـ بالمساومة.

رفعت ذقنها: «ماذا عن البيت ـ بيتنا؟ أتنوي ان تأخذه أيضاً؟».

«في الأصل، أجل» قال: «لكن اذا تصرفتي باكتفاء ـ ايه ـ بكرم معي، قد أصبح مستعداً للتنازل عنه، وإبقاءه بين يدي آل بلانش طالما والدك على قيد الحياة على الأقل». ابتسم لها بسخرية: «مصيره بين يديك انت يا حلوتي».

قضمت شفتها وكل جسدها يرتعش من المعنى الخفي لكلماته: «ومصنع النسيج؟ هل ستترك تلك وشأنها أيضاً؟».

«أعتقد انك بدأت تقدرين أكثر من اللازم مفاتنك» قال غابريال سميث بجفاف: «لا، إستثماري بالمصنع سيبقى على حاله ـ كضمان، اذا أردت، مقابل تصرفك الجيد المستمر».

أغلقت عينيها للحظة. قالت ببرود: «أعتقد انه لا مجال للمجادلة نظراً لطبيعتك المعروفة. وسأذكرك ان هناك حدود معروفة للشرف واللياقة».

«حدثيني عن هذا» قال ونظر الى اللوحة فوق المدفأة وتصلبت قسماته: «على الأقل أنا لا أطردك دون سابق إنذار، رامياً إياك في شارع».

«واذا قلت لك ان لي مبادئي ـ ان عندي كبريائي واحترامي لذاتي؟ وأنني أفضل الموت جوعاً على الأرصفة من تقبل ما تعرضه حضرتك علي؟».

هز كتفيه مجدداً: «اذن بإمكاننا تدبر هذا بسهولة» قال: «والخيار لك. لكني أنصحك بشدة ان تفكري بعرضي ثانية. أمامك أربع وعشرون ساعة».

«أنا لا أحتاج لأربع وعشرين ثانية» قالت بحدة: «بإمكانك فعل ما تشاء. سيد سميث ولتذهب الى الجحيم».

«لربما سينتهي بي الأمر هناك، سيدة بلانش» قال بلياقة فائقة: «لكن أولاً أريد ان أطالب باستيلائي على ادارة مصنع النسيج التي ذكرته لك» توقف: «قد يجد داني نفسه مضطراً لمواجهة ليس فقط محكمة الافلاس. كيف سيتحمل كبرياء آل بلانش ذلك، أنا أتساءل؟».

«أنا لا أصدقك. هو لن يفعل هكذا شيء». اهتز صوتها لقوة اقتناعها بذلك.

«إسأليه» قال: «بوقت ما خلال الأربع والعشرون ساعة. ثم إتصلي بي وبلغيني بردك النهائي».

«لقد حصلت على كل الرد الذي ستحصل عليه أيها اللعين!» قالت: «سأراك في الجحيم قبل ان أفعل ما تريد».

رماها بنظرة هازئة: «لا تعتمدي على ذلك يا حلوتي. أعدك بشيء واحد ـ حين تتصلين بي، لن أقول لك انه سبق وأخبرتك بذلك».

www.elromancia.com

قبضتيها متصلبتين ورمته بنظرة تحمل كل كرهها وحنقها عليه ثم غادرت المكان والشتيمة تكاد تخرج من داخل فمها: «اللعين الحقير، اللعين».

كانت كالقطة التي على نار طوال النهار بانتظار عودة داني. واستجمعت كل سيطرتها على نفسها حتى لا تقود سيارتها وتذهب الى العيادة لمواجهته هناك.

هي لا تستطيع ان تنكر ان داني كان مثال الأحمق الغبي، لكنها لم تصدق انه قد يكون لصاً. هي لن تصدق ذلك مطلقاً.

«لا بد من وجود سبيل خارج هذه الفوضى العارمة» قالت بصوت عالٍ عبر أسنانها المصطكة وهي تزرع أرض الغرفة جيئة وذهاباً: «لا بد من ذلك. معاً سنفكر بحل ما يجب ان نفعل».

ابتلعت غصتها بصعوبة وذلك الصوت الصغير داخل رأسها يظهر لها حجم التهديد الحقيقي. خسارة منزلهم، تحطم ما تبقى من تجارتهم وأعمالهم، العار المشين الذي سيلحق بداني - وكل هذا بأسوأ الأوقات على الإطلاق، اذا كان هناك من أوقات. جيدة لأشياء كهذه، فكرت بإرهاق.

لم يكن من فائدة بالترداد لنفسها ان الخطأ كله يقع على عاتق داني وأن عليه هو بالتالي التفتيش عن حل مناسب. لا تستطيع ان تتركه يغرق اذا كان بمقدورها مساعدته على العوم. لكنها لا تستطيع ان تضحي بنفسها أيضاً.

كلمات غابريال سميث كانت تتردد كالمطرقة داخل

رأسها: «أنا أريدك. تعالي إلي». لقد عرض علي للتو الإهانة العظمى، قالت لنفسها، بافتراضه أنني سأفكر بهكذا إقتراح مهين. لقد أخطأ بالحكم علي كلياً.

لكنه قد جمع بعضاً من ردات فعلها القديمة بدقة متناهية، تذكرت غضباً عنها. تعليقاته حول زواجها من ستيف كانت قريبة جداً من الحقيقة.

لطالما اعتقدت وفكرت انها اذا رحلت وظلت بعيدة، فبمساعدة الحظ سينساها، ويتزوج بواحدة من الكثيرات اللواتي يخرج برفقتهن. الوقت والبعد سيحلان كل شيء. هذا كان ما اعتقدته. هذا كان ما طمأنت نفسها به.

لكن ما مدى خطأها بهذا الاعتقاد؟ فكرت سيرينا بقلق وهي تخطو أرض الغرفة. غابريال لم يكن يخادع أو يحاول إنذارها. انه يقصد كل كلمة قالها وتلك النظرة المحذرة التي رماها بها أثناء جنازة ستيف لم تكن سوى تصريح واضح لنيته. ويهدد عائلتها بأكملها بالإذلال الكامل والتحطم والافلاس؟.

فيما اعتقدت انها كانت آمنة في استراليا كان غابريال سميث هنا يوقع داني بشباك خططه الملتفة حول حياته الشخصية والمهنية. ثم ابتعد وجلس ينتظر، كالعنكبوت، لعودة الفراشة الغير متوقعة...

لكن هذا كان حديثاً انهزامياً، قالت لنفسها بتعنيف، فبعد كل شيء اذا صارعت الفراشة بقوة كافية، حتى أقوى شبكة لن تتمكن من إبقاءها سجينة.

كانت تتناول عشاءها بدون رغبة ولا نية حين وصل

داني. بدا مرهقاً وقلقاً وللحظة شعرت برغبتها بتركه بسلام لفترة راحة يحتاجها على الأقل حتى الصباح. تركته يتحدث قليلاً عن كارول وآلام المخاض ثم نسي كل شيء وبدأ يتناول عشاؤه.

ثم حين انتهى قالت له بهدوء: «ألا تريد ان تعرف ما الذي حدث هذا المساء؟».

هز كتفيه ووجهه يعكس الذنب: «أعتقد ذلك. بصراحة، سيرينا، مع ان رسالته فاجأتني وأخافتني حين استلمتها الا أنني كنت أفكر بالأمر طوال فترة بقائي في العيادة، بصراحة لا أرى أي داعي لإثارة كل هذه الفوضى والضجة حول هذا الموضوع. أوضاع المصنع والبيع تتحسن ببطء. سيسترجع ماله وسيكون عليه فقط الصبر هذا كل شيء. أمل ان تكوني قد أخبرته بذلك».

صبت لنفسها كوباً من القهوة وناولته كوبه ثم تابعت: «لم تسنح لي الفرصة لذلك في الواقع، هو لم يأتي للتحدث بأمور العمل. ديونك الأخرى هي ما تهمه. الديون التي عليك للمرابي في المدينة.

راقبته ووجهه يتحول الى اللون الأبيض. كانت هناك فترة صمت طويلة مؤلمة. ثم قال داني بسرعة: «هو أطلعك على ذلك. لكن لا يحق له هذا. قال انه لا داعي للعجلة. عرف أنني سأرد له كل قرش حالما يتوفر المال لي».

«كيف؟» نظرت الى وجه داني المذنب التعيس وأدركت ان السؤال سيبقى دون جواب.

أجبرت نفسها على المتابعة: «هو ـ هو قد ذكر مصنع النسيج ضمن الموضوع. تحدث حول... والحسابات».

«ماذا عنها؟» نظرة داني كانت محدقة بالمائدة أمامه.

«قال شيئاً ما حول نقص بمال الخزينة» قالت سيرينا وتوقفت بسبب نظرة الرعب على وجه داني وبسبب سقوط الفنجان من يده ناثراً القهوة في كل مكان.

«أيستطيع ان يفعل ذلك؟» العيون الزرقاء كانت مذهولة: «أيستطيع ذلك سيرينا؟».

«هل هناك أي سبب يمنعه من ذلك؟» حاولت التحدث بهدوء ولكن صوتها ارتعش لإدراكها انها بعد لحظات ستواجه المكروه ستواجه الأمر الذي لا تصدقه مطلقاً.

هو لم يجيب بل تناول فوطته وأخذ يمسح القهوة عن المائدة.

قالت: «هذا صحيح اذن. هناك مبلغ من المال مفقود، وأنت هو المسؤول».

«مصنع من هو هذا اللعين على كل حال؟» قال بنبرة دفاعية.

«ليست لك لهذه الدرجة الآن. داني، هل جننت؟».

«كان يجب ان أفعل شيء ما. كنت بحاجة ماسة للمال من أجل كارول هي لا تفهم معنى الضائقة المالية».

أغلقت سيرينا عينيها للحظة محاولة تخيل ردة فعل كارول حين تعرف انها وزوجها أصبحا بلا مأوى وبلا مال. لكن تخيلها ارتبك من مجرد التفكير بذلك.

«تابع» قالت بيأس قاتل: «ولهذا فقد إختلست المال من

المصنع لتأخذ كارول بعطلة مكلفة!».

«أنا لم أختلسه» احمر وجه داني الآن بسبب الغضب: «أنا اقترضته».

«بمعرفة غابريال سميث وموافقته؟».

«لم أعتقد انه من الضروري إطلاعه على ذلك. فبعد كل الشيء لمبلغ لا يتعدى العدة آلاف أو ما يشبه القرض المؤقت. أنا أنوي تماماً إعادة المال. ضربة حظ ناجحة واحدة في البيع كانت كل ما أحتاج».

«لكنك لم تربح».

«لا في الحقيقة لقد بدأت أخسر بالتتالي. وظللت أقول لنفسي ان حظي سيتغير، لكنه لم يفعل. بل ظل الأمر يزداد سوءاً».

رماها بنظرة متسائلة: «لا أزال لا أفهم سبب توريطه لك بكل هذا. ظننت انه كان بيننا إتفاق بين رجلين شريفين».

«غابريال سميث» قالت بهدوء: «ليس رجلاً شريفاً. قل لي داني، وأريد الحقيقة الكاملة ـ هل هناك أي أمل بأن ترد له بعضاً من ماله ـ من قرضه للمصنع؟».

امتدت فترة صمت ثم هز رأسه: «لا أستطيع. أنا آخذ حالياً الحد الأدنى للأجور. وعندي الكثير من المصاريف الإضافية بسبب ولادة كارول القريبة. تكاليف مستشفى الولادة وحدها تكلف ثروة كبداية» ظهر الحذر على ملامحه: «سميث لن يلح على اجراء فحص بالحسابات، لا؟ أقصد ـ أستطيع شرح الأمر له، وأنا واثق انه سيتفهم الوضع، لكني لا أفضل ان أفعل».

تمتمت سيرينا بشيء ما لنفسها.

«اذن ما الذي يريده سميث؟» سألها داني مستفسراً.

ترددت سيرينا: «لست واثقة تماماً» قالت بكذب: «الآن وقد تأكدت من ان ـ اتهاماته كانت صحيحة، يجب ان أعاود الاتصال به ـ للإتفاق على شيء ما».

«آوه، رائع» صوت داني كان سافراً بعض الشيء: «لم أكن أعرف انكما الاثنان على اتفاق وثقة متبادلة. البارحة لم تتحملي سماع اسمه. اليوم جمعتما رأسيكما معاً، لتقررا ما يجب ان يُفعل لداني الأحمق المسكين. هل فرض شباكه أم أنه ظل واقفاً في الزاوية؟».

عضت سيرينا شفتها: «تلك الطريقة لا تنفع معي».

«ومناقشتكما لأموري الخاصة الشخصية من خلف ظهري ليس أمراً مقبولاً أيضاً» رد داني بغيظ: «كان عليك ان ترفضي الاستماع لذلك ـ وتجعليه يناقش هذه الأمور معي أنا، عوضاً عن الاستماع لما ليس يعنيك».

تمالكت سيرينا أعصابها بصعوبة: «اذا اتهمت بالاختلاس، فسيصبح هذا شأناً ليخصني كثيراً» قالت بهدوء: «أمر يخصنا جميعاً. وتصور ما سيكون تأثير ذلك على والدنا».

«آه، أجل، إبدأي» قال ووجهه كالحجر: «اسمعوا، جميعاً، داني كان الصبي الشرير العاق. وسيرينا صاحبة العيون الخضراء البريئة هي من ستصحح الأمور وتعيدها الى نصابها. حسناً، حظاً سعيداً لك» حدق بها: «للأسف انك لم تبقين هنا بعد موت ستيف، بدلاً من التسكع في

www.elromancia.com

استراليا. كانت الأمور ستكون مختلفة حينها لو انك لم ترحلي» أبعد كرسيه ونهض: «سأعود الى العيادة التمريضية لأبقى الى جانب كارول. قومي بمقابلتك الرفيعة المستوى مع سميث يا أختي الحبيبة، وأعيدي كل شيء الى نصابه. ولتكن لك الحرية باطلاعي على ما ستتوصلان اليه في وقت ما».

خرج صافقاً الباب وراءه وبعد لحظات سمعت صوت الباب الرئيسي يُصفق بدوره وتحركت سيارته مبتعدة.

اتكأت سيرينا على ظهر كرسيها، مرتعشة قليلاً. كانت تعرف عادة داني جيداً. حين يكون مستاءاً ومهاناً فسيتصرف بحنق لعدة أيام ولن تتمكن من الحصول على كلمة منطقية واحدة منه.

سيأتي اليها في النهاية، فكرت، لكنها لا تملك كل هذا الوقت. كل ما كانت تملكه هو أربع وعشرون ساعة، كانت تمر بسرعة البرق.

حتى بعد حادثة ستيف، لم تشعر بمثل هذا العجز الكامل. هذه الوحدة القاتلة ـ هذا الضعف.

فكرت، ماذا علي أن أفعل؟ وبقوة، ماذا بإمكاني ان أفعل؟.

لكنها كانت تعرف الجواب على ذلك، بقرارة نفسها. كل ما كان عزيزاً على قلبها في هذا العالم كان بخطر وهي، بالذات، تحمل مفتاح الخلاص.

هذا، فكرت، ما يشعر به الحيوان حين تُطبق عليه المصيدة.

جلست لفترة طويلة، محدقة، بعيون جامدة، بالفضاء. ثم قرر عقلها شيئاً، ذهبت الى غرفة الجلوس، رفعت سماعة الهاتف وبدأت، ببطء تطلب الرقم.

جافاها النوم طوال الليل ولم يغمض لها جفن وراقبت شروق الشمس، ها هو يوم جديد يطل على البشر يحمل لهم به كل أمل وتفاؤل لكنه يحمل لها كل البؤس، التعاسة والهم. اليوم هو المهلة المحددة لها من قبل شيطان حياتها غابريال سميث. لقد صممت خطة إنقاذ برأسها ستخبره بها حين تلقاه هذا اليوم. لقد اتفقت على لقائه صباح اليوم في المقهى قرب النهر.

نزلت لتطمئن على والدها قبل ذهابها الى الموعد المقرر والمصيري. كان والدها يجلس على كرسيه المتحرك في غرفته وأمامه ألبومات الصور لزوجته ووالده ووالدته ولها هي وداني وهما طفلان. كان والدها يتصفح الصور ويغرق بالنظر بكل واحدة كأنه يسترجع لحظات حدوث كل الصور ويغرق بالنظر بكل واحدة كأنه يسترجع لحظات حدوث كل صورة من هذه الصور. لم ينتبه لها حين دخلت وحين اقتربت منه وجلست بقربه وجدته يحدق بصورة جدها وجدتها. كان جدها مميز بقامته الضخمة ووجهه الصلب المنحوت من الصخر عيونه كانت سوداء قاسية بنظرة مرعبة وشاربيه كانا كثيفين ويناسبان تماماً وجهه الذي يظهر كل البطش والبأس. بعكسه تماماً. كانت صورة جدتها، كانت بوجه طفولي بريء دقيق الملامح شيء واحد ومميز لفت نظر سيرينا بوجه جدتها كانت تبدو كأنها بلا حياة، عيونها

www.elromancia.com

كانت كعيون الموتى بلا بريق بلا... بلا أمل. هزت رأسها وقالت سيرينا بنفسها يا لخيالها الذي كان يصور لها الكثير من الأشياء الخيالية أشارت الى صورة جدتها وسألت والدها: «هل هذه هي جدتي؟!».

حدق والدها بغموض بالصورة وقال بعد فترة بدت كالدهر: «سيرينا كان اسمها... سيرينا».

كانت سيرينا تعرف انها قد سميت باسم جدتها ولهذا لم تكن كلمات والدها جديدة عليها.

قبلت جبينه وتركته مع أحلامه وذكرياته وغادرت الى لقاء غابريال سميث.

وصلت الى المقهى وجلست تنتظر دقائق ووصل غابريال سميث كان يرتدي ثياباً خفيفة بنطالاً كحلياً وقميصاً مشجراً ومفتوح الصدر.

الرجولة والجاذبية الحسية كانت تنبعث من كل حركة وسكنة به. أدارت سيرينا وجهها بعيداً عنه فوصل حياها وجلس أمامها.

«هل تأكدت من كلامي لك البارحة؟» سألها فوراً.

«أجل» أجابت بهمس: «كل ما قلته كان صحيحاً لكن. لكن لا داعي لتستدعي من يحقق بالحسابات أستطيع تسديد المبلغ الذي سحبه من مالي الخاص. فالمبلغ ليس طائلاً».

«هو لا يستحق هذا».

«انه أخي» قالت باختصار: «سأستقر هنا نهائياً وسأبدأ من الغد بالبحث عن عمل بشهادة الديكور التي أحملها.

واسمح لي سيد سميث ان أرد لك المبلغ الذي استدانه داني منك حتى آخر فلس. أنا مستعدة لإعطائك ثلاثة أرباع مرتبي كل شهر».

«هل أنت مستعدة فعلاً لذلك؟».

«أجل» ردت: «داني ضعيف وسيظل هكذا طوال حياته واذا شهّرت به وتعرض للإفلاس فإن زوجته ستتركه وسيخسر بهذا كل شيء يحبه ويملكه بهذا العالم».

«عرضي لا يزال قائماً» قال بنعومة.

«كنت آمل ان أجد عندك ذرة شرف واحدة سيد سميث».

«لطالما اعتبرت الشرف صفة كمالية» قال بسخرية: «لا تغمز من طرفي أتقبلين بعرضي أم لا؟».

على أطراف ثوبها تجمعت يداها بقبضتين وأظافرها تغرز بلحم كفيها. نظرت بعيداً الى التلال خلفه.

«يجب ان أقبل» قالت: «لن أدع خططك المقرفة تهدم زواج داني».

«قد يكون حاله أفضل بدون تلك العاهرة التافهة».

«أو قد يفقده هذا طفله الذي لم يولد بعد».

ابتسامة غابريال سميث كانت هازئة: «طفل يحمل اسم عائلة بلانش».

«ربما».

«يا للبيتوتية؟».

«أليس هذا كل ما يريده أي رجل؟».

هز كتفيه: «لا أستطيع ان أحكم بذلك. انا شخصياً، لا

www.elromancia.com

أملك أية نوايا حالية بجعلك حاملاً، اذا هذا ما تريدين معرفته».

شعرت سيرينا برغبة سخيفة بالاحمرار.

«أنا مسرورة لسماع هذا» جعلت صوتها عادياً قدر ما استطاعت: «وللتسجيل فقط، ما هي خططك الحالية؟».

نظر بتأمل الى المياه: «فكرت ان بإمكاننا تناول العشاء سوياً هذه الليلة» توقف: «يتبعه بالطبع إفطار في الصباح».

لم يكن هذا أكثر مما كانت تتوقع وليس أقل مما تخشاه.

بحلق جاف قالت: «انت ـ لا تضيع الوقت سدى، ألست كذلك؟».

«لقد أضعت الكافي من الوقت حتى الآن» نظر اليها وحاجبيه مرتفعان: «لا تظهري مصدومة هكذا، آنسة بلانش. لقد تزوجت ونجوت. تعرفين ما الذي حدث».

أجبرت نفسها على التحديق به بدورها: «هل هذا طلب زواج، سيد سميث؟».

ضحك بخبث: «لا مطلقاً. لست من النوع المتزوج».

«وحتى متى ـ سيستمر هذا الترتيب الغير رسمي؟» سألت باحتقار جليدي.

«حتى أقرر أنا إنهاؤه». استقرت عيناه على صدرها من البادي من تحت ثوبها الرقيق بملاطفة حميمة: «لا تأملي بأية معجزات».

«أنا لا آمل شيئاً منك».

توسعت ابتسامته بإهانة: «الآن هذا يبدو تشاؤمياً جداً»

توقف، مراقباً اللون الداكن الذي لون خديها: «سأتوقع منك ان تلاقيني في النادي المحلي في الثامنة مساءاً هذه الليلة». تابع: «ولا تجعليني أحضر لإصطحابك. لأن هذا سيزعجني».

«أنا أرتعش من الخوف» قالت له باستهزاء وهي تشعر بالحنق من نفسها لإحمرار خديها.

«لا يا فتاتي، ليس أنت» قال: «أنت لست ضعيفة مثل داني. أنت نموذج قوي صلب. ترويضك يا سيرينا بلانش سيكون امتيازاً ومتعة بنفس الوقت».

«انت مثير للإشمئزاز، غابريال سميث» أبقت وقفتها منتصبة: «أنا أكرهك وأحتقرك، وسأظل كذلك الى الأبد».

«ضحك ممرراً اصبعه المكروه على وجنتها الملتهبة: «قولي لي هذا مجدداً في الصباح» قال ومشى بعيداً نحو سيارته.

أدركت سيرينا فجأة ان أنفاسها كانت لاهثة كأنها قد اشتركت بسباق للماراتون، وساقيها أصبحتا كالهلام لكنها أجبرت نفسها على البقاء واقفة هناك، بدون حراك وبتحدي، لحين اختفت سيارته خلف المنحنى.

رأته يخفض النافذة وينحني رافعاً يده بوداع ساخر.

«حتى هذه الليلة». الكلمات وصلت اليها عبر الهواء، وتردد صداها عبر التلال وبنبرة إنتصار غير محببة، حتى هذه الليلة... حتى هذه الليلة...

بشتيمة ألصقت سيرينا يديها على أذنيها وبدأت تصعد نحو سيارتها.

اللعنة عليه فكرت بقسوة وعنف. اللعنة عليه الى الأبد.

كانت ساعة سيرينا تشير الى الثامنة تماماً حين دلفت باب النادي المحلي ودخلت قاعة الاستقبال.

موظفة الاستعلامات الجميلة رحبت بها بابتسام: «أأستطيع مساعدتك سيدتي؟».

يا ريت كان بإمكانك ذلك، فكرت سيرينا بسرها لكنها قالت لها: «السيد سميث يتوقع حضوري».

«فتشت الفتاة بدفتر أمامها وقالت: «أوه، أجل سيدة بلانش. اذا رغبت بخلع شالك، فسيوصلك رئيس النادلين لدينا الى طاولة السيد سميث. السيد سميث ينتظر مكالمة من هولندا، وسينضم اليك سريعاً».

سلمت سيرينا الشال الذي ترتديه فوق ثوبها النيلي للنادل وتبعته الى طاولة سميث في غرفة الطعام. كانت الغرفة النقية، وسقفها الخشبي مزين بالأعمدة المذهبة بنوافذ فرنسية تمتد على طول أحد الجدران. مع ان الوقت كان لا يزال باكراً إلا ان نصف الطاولات كانت مشغولة، معظمهم أناساً تعرفهم سيرينا، أدركت بارتباك. لاحظت العديد من النظرات الفضولية التي وُجهت اليها والنادل يقودها الى الطاولة الخاصة باثنين والموجودة في زاوية الغرفة ومخفية خلف النباتات الضخمة.

أول شيء رأته كان زجاجة الشمبانيا الموضوعة بالثلج. الشيء الثاني كان الوردة الحمراء الموضوعة في وسط الطاولة. تصلبت شفتاها بغضب.

«هل أحضر لك شراباً ما، سيدتي؟» سألها النادل بعد

ان أجلسها.

«مياه معدنية من فضلك مع بعض الحامض».

كانت سعيدة ان الطاولة كانت معزولة عن باقي الطاولات. لكنها أدركت ان الضرر قد وقع وعن تعمد أيضاً. كل من في المطعم قد عرف الآن ان هذه هي المرة الأولى التي تضع فيها قدمها داخل النادي هذا وأنها تجلس على طاولة غابريال سميث الخاصة وستنتشر الأقاويل والإشاعات من برستول كفقاعات الصابون داخل الماء في كل مكان، فكرت سيرينا بازدراء.

ما لن يعرفه أي من كل هؤلاء الناس هي الحقيقة.

وصل شرابها واحتسته وهي تحدق بالشمبانيا وبالوردة. كيف يجرؤ؟ كيف يجرؤ على التظاهر كأن ما يحدث هو علاقة حب، سبب للإحتفال، عوضاً عن الكذب والتهديد الحقير الذي هو حقيقة ما بينهما!.

قاومت رغبتها برمي كل شيء عبر النافذة والخروج من المطعم قبل وصوله، لكن غابريال سميث لن يعجب بهذا وسيذهب فوراً الى داني لينفذ وعيده. لا أستطيع المخاطرة بهذا، فكرت.

تمنت لو كان باستطاعتها رؤية داني قبل ان تأتي لكنه تناول عشاءاً مبكراً وذهب الى العيادة فيما كانت هي ترتدي ملابسها. من الواضح انه لا يزال حانقاً.

لقد تركتْ هي المنزل وكتبت ملاحظة أنها ستنام عند أحد الأصدقاء وهرعت الى سيارتها قبل ان تراها ليلى وتستجوبها. لكنها أي ليلى ستعرف ما سيحدث حين تصل

الأقاويل والثرثرات الى منزل بلانش وحينها ستكون فضيحة سيرينا كاملة. وسيكون عليها مواجهة داني بدوره. وكذلك أسئلة كارول ووالدتها المملة.

كان هناك حركة مفاجئة في المطعم وأدركت سيرينا وقلبها يعتصر ان غابريال كان في طريقه اليها. تصلبت أصابعها بألم حول كأسها.

«عزيزتي، أتسامحينني؟ لقد تأخرت مخابرتي من هولندا».

رفعت نظرها ورأت النادل ينتظر بانتباه قرب كتفه فتظاهرت بابتسامة باهتة.

«لا يهم. لقد اعتنوا بي جيداً».

«لا شك انك تتضورين جوعاً» جلس غابريال طالباً قائمة الطعام: «ماذا ترغبين ان تتناولي؟».

الكلمات أمام عينيها كانت بلا معنى. لقد جف حلقها تماماً فجأة وكانت ترتعش بكل جسدها، وضعت القائمة جانباً.

«لا أستطيع الاستمرار بهذا؟» قالت بصوت مخنوق.

«هيا، يا حلوتي، طباخي ليس بهذا السوء».

«هذه ليست مزحة» صلبت قبضتها اليائسة على الطاولة: «هذا ليس مضحكاً».

«لا» قال. كان لا يزال يبتسم لكن عينيه كانتا كقطعتي جليد: «انه ليس كذلك. بيننا مساومة واتفاق آنسة بلانش وأقسم بالله ان عليك القيام بما هو مطلوب منك. أم ان أمور داني ومستقبله لم يعودا مهمان لك؟».

«تعلم جيداً انهما مهمان، لكن لا بد من وجود طريقة أخرى - غير ممكن انك تريدني هكذا - وأنا أكرهك».

«قضيت ستة أشهر من حياتك تنامين مع رجل لا تأبهين لأمره مطلقاً» قال هازاً كتفيه: «على الأقل الكره يعني العاطفة - نوعاً ما. أفضل ذلك على عدم الاكتراث».

«كيف تجرؤ؟» التمعت عينا سيرينا الخضراوين: «انت لا تعرف شيئاً حول علاقتي مع ستيف. لست مؤهلاً لمجرد حفظ اسمه».

«لا تكوني سخيفة» قال بتعب: «كنت في المدرسة معه. وأنت وأنا نعرف تماماً السبب الذي دفعك للزواج به. يقولون: تزوج بسرعة واندم على مهلك. صحيح؟ حسن، لقد حصلت على حصتك من الندم، سيرينا الآن تستطيعين بدء المياه مجدداً».

«معك؟» ردت بمرارة.

«وليس مع أي شخص آخر» قال: «ومن الأفضل ان تصدقي ذلك».

«اذا حصلت علي، فسيكون ذلك اغتصاباً».

درس وجهها المحتقن المتوسل للحظة طويلة ثم ابتسمت شفاهه قليلاً.

«لا» قال أخيراً: «لن يكون كذلك. أعدك بهذا سيرينا».

«وكيف سيكون شيئاً آخراً، في حين ان مجرد تفكيري بك يثير اشمئزازي؟».

«انت توقفي عن التفكير» قال: «تناولي شيئاً من الطعام بدلاً من ذلك، وستبدأين بالشعور بالتحسن. أنصحك بطبق

السلطة».

«الأكل سيخنقني».

«لن ألومه» قال بجفاف. وضع قائمته جانباً: «إبقي جائعة اذن، اذا شعرت انك بذلك تثيرين نقطة أخلاقية ما. أريد أنا تناول الحساء الساخن، وقطعة لحم ستيك. أنا واثق ان بإمكانك الاستفادة من ذلك».

حين وصل النادل ليسجل طلباتهم، طلبت سيرينا بأدب تفاح وطبق سلطة، لم تنظر الى غابريال، لكن التعليق الساخر الذي توقعته لم يصلها.

راقبت بصمت عدائي فتح زجاجة الشمبانيا.

حين رحل نادل الخمرة قالت ببرود: «هل من المفترض أننا نحتفل بشيء ما؟».

«هذا قد يساعد على ذلك، أوافقك» قال وفمه يلتوي: «مع ان بإمكاننا تناول الشراب احتفالاً بدفن آخر العراك بيننا» رماها بنظرة فاحصة ثم تابع: «لا؟ اذن لنعتبر هذا مجرد عشاءاً طبيعياً، كبداية» رفع كأسه بنخب ما: «لتفاهمنا الأفضل، سيرينا. سنترك الأمور عند هذا الحد».

ترددت ثم جرعت جرعة واحدة.

«برافو» قال بصوت حريري: «أعرف ان هذا قد كلفك الكثير».

كانت الوليمة رائعة حين وصلت. كان غابريال يأكل ويتحدث بطبيعية فيما هي صامتة وتحرك الطعام داخل صحنها متظاهرة بالأكل ومستلمة التعليقات ذات الكلمة الواحدة منه. كيف بإمكانه التصرف بهكذا طبيعية،

تساءلت، كأن هذه كانت مناسبة اجتماعية عادية؟.

«أترغبين بتناول بعض الحلوى؟» سألها بعد تنظيف المائدة.

هزت رأسها: «قهوة فقط من فضلك».

«اذن سنتناولها فوق» قال: «أنا أصنع القهوة الجيدة جداً».

كان الأوان قد فات بتغيير رأيها وطلب الحلوى، وضعت سيرينا فوطتها على الطاولة ونهضت ببطء.

كان هناك مصعداً مكتوب عليه (خاص) قادها نحوه، وضغط على الزر، انحنت على الحائط، شاعرة بقلبها يكاد يخرج من داخل أضلاعها، والمصعد يرتفع بسرعة كفا يديها أصبحتا متعرقتين لكنها أدركت أنه سيعرف ذلك اذا مسحتهم بثوبها. توقف المصعد وانفتح بابه. خرجت ومشت على أرض مفروشة بالسجاد الى بابين متجاورين. فتحهما وتنحى جانباً لتدخل هي أولاً.

كانت الغرفة واسعة جداً بنافذة ضخمة. الأضواء الخافتة كانت مضاءة. الأثاث كان مريحاً ودافئاً. ليس فاخراً ولا مبتذلاً، ولم تعرف أتشعر بالسعادة أم بالأسف.

«إجلسي» قال وأشار الى الكنبة المنخفضة الواسعة: «وسأحضر القهوة» أشار الى أحد الأبواب: «ذلك هو المطبخ» توقف: «وغرفة النوم وغرفة الحمام من هنا».

«تجاهلت سيرينا عن قصد النظر الى الجهة المشار اليها: «كل شيء له باب يفتح على هذه الغرفة؟» سألته.

طأطأ رأسه: «لقد أعدت تصميم الطابق هذا كله كجناح

خاص بي حين جلست بتصلب على طرف الكنبة، مستمعة له وهو يحرك الركوة ويحضر القهوة. رائحة القهوة داعبت أنفها بعد لحظات.

السماء المخملية العميقة الظاهرة عبر النافذة كانت رائعة بنجومها المتلألئة وكانت تسمع صوت موسيقى، هادئة معالمة تنبعث من مكان ما في البناء.

كانت محاطة بكل عناصر الرومانسية، فكرت بعجز، لكن في الحقيقة كانت تتعرض لأقسى أنواع الاستغلال. من غير الممكن أنه يقصد هذا فعلاً، قالت لنفسها. كان يلاعبها بنكتة قاسية. لا شك أنه كذلك، لا؟.

«الانتقام» قال سابقاً: «طبق يؤكل أفضل وهو بارد». لا مزاح بهذا، فكرت، وارتعاشة ألم طويلة عصرت قلبها.

«حليب وسكر؟» سألها.

«حليب فقط من فضلك». قالت سيرينا محدقة بالسجادة. تناولت منه وتجرعت بعض الجرعات الساخنة ـ التي أعطتها الجرأة لمحاولة أخيرة للتوسل. وضعت الفنجان جانباً: «قل لي شيئاً ـ لماذا تفعل هذا؟».

للحظة لم يجب بشيء، فتابعت بسرعة: «أقصد، انك غير مضطراً أو محتاج لـ... لتجبر امرأة على البقاء معك. إذن لماذا أنا؟».

«لأنك كنت شوكة في لحمي لفترة طويلة ولعدة أسباب» قال بهدوء: «ولأني أعرف انه لم يكن أمامي أية طريقة أخرى لأقترب ولو لمسافة ميل منك غير هذه» ابتسم بنوع من الذكرى المريرة: «كل مرة ألتقي بك بلقاء اجتماعي،

كنت تنظرين الي وكأنني أقذر أنواع الهراء بدا وكأنك محفورة ومحفوظة بعيداً داخل الجليد، دائماً بعيدة، حتى حين كنت لا تزالين طفلة. كنت إما بعيدة في المدرسة أو معزولة داخل حاجز ذلك المنزل الكبير» توقف وفمه يلتوي قليلاً: «أو كنت تصحبين والدك بنزهة داخل سيارته كأنك أميرة صغيرة».

«أذكر ذلك جيداً» قالت بوحشية: «أذكر أولئك الصبيان الذين كانوا يرمونا بالحجارة فيما انت تحثهم على المزيد».

كانت خائفة جداً. كانت قد تقلصت في المقعد الخلفي لسيارة والدها، متمسكة بزراعه، مستمعة لتساقط الحجارة على طرف السيارة.

«من هؤلاء بابا؟» انتحبت.

«انهم الحثالة المحليين، يا صغيرتي، لا تزعجي نفسك بالانتباه لهم». بارك بلانش تابع بسخرية: «إجلسي، سيرينا، وأظهري لهم انك لست خائفة. ستانفورد، أسرع أبعدنا عن هنا».

كانت خائفة لدرجة كبيرة لكنها أطاعت والدها ورفعت ذقنها ناظرة الى مجموعة الصبيان الأشرار بنظرة! احتقار. وحينها رأته.

كان أطول قامة من الباقين وكان يقف بعيداً قليلاً عنهم. كان يرتدي بنطاله الجينز وبلوزته، لكن كان هناك شيء ما حوله. شيء أخبرها انه القائد، وأنه سيكون كذلك دوماً.

كان يبتسم، مستمتعاً بوضوح بانزعاجهم وبالسائق،

www.elromancia.com

المطلق للشتائم من بين أسنانه قاد السيارة نحو الطريق الضيق. رأى سيرينا فضحك بصوت عالي مشيراً اليها، ومنادياً بشيء ما للآخرين.

الوحل الكثيف رطم الزجاج بجانبها وصرخت سيرينا وابتعدت.

«لا بأس يا حبيبتي» قال والدها بلطف حالما ابتعدت السيارة: «لقد ابتعدنا».

«انهم خبثاء» قالت بحرارة ناظرة الى الوحل العالق على الزجاج: «لقد أفسدوا سيارتنا. وذلك الصبي الكبير كان أسوأهم. كان يضحك ويجعلهم يفعلون ما فعلوا. من هو؟».

فم والدها تصلب: «لا أعرف، سيرينا» قال: «ليس متوقعاً مني معرفة أسماء أبناء الشوارع».

حاستها الغريزية أخبرتها أنه لم يكن يقول الحقيقة، لكن الآن لم يكن الوقت مناسباً للإصرار على هذا الموضوع.

بدلاً من ذلك استدرجت ستانفورد حين وصلوا والذي كان ينظف محرك السيارة التي هي مصدر فخره واعتزازه.

«هل ستكون السيارة على ما يرام ستان؟».

«بالطبع ستكون كذلك، آنسة بلانش. لم يصبها أي أذى كبير».

«هذا جيد» وقفت تراقبه وهو يلمع السيارة: «لماذا فعلوا ذلك، باعتقادك؟ نحن حتى لا نعرفهم».

هز ستان كتفيه: «الأوقات صعبة الآن، آنسة سيرينا.

والطباع السيئة تثور بسرعة».

«اوه» سيرينا لم تكن واثقة من قصده بهذه الكلمات لكن الآن كان عليها معرفة شيء أهم: «ستان ـ ذلك الصبي ـ الذي كان يحث الآخرين على رمينا بالحجارة. من هو؟ يقول والدي انه لا يعرفه».

«لربما هو لم يميزه، آنسة سيرينا» قال ستان: «كان بعيداً في مدرسته وقد كبر كثيراً مذ رآه والدك للمرة الأخيرة» عبس: «ذلك كان غابريال سميث».

الآن بعد مرور حوالي خمسة عشر سنة على تلك الحادثة، كان غابريال سميث يقول مقطباً: «اذا كنت ستتذكرين ما حدث بهذه الطريقة، فتذكري كل شيء بطريقة صحيحة. هم لم يكونوا يرمون الحجارة، أيتها الغبية الصغيرة، بل كتل الوحل والزجاجات الفارغة».

«لكنك كنت تشجع حفنة الأولاد المتسكعين أولئك على متابعة عملهم. تجعلهم يرموننا بكل تلك الأقذار فقط لأننا نحمل اسم بلانش».

«هل هذا ما أخبرك به والدك؟». تصلب فمه بإزدراء: «حسن، هذا يليق به. دعيني أوضح لك شيئاً واحداً، سيرينا ـ أي قذف للوحل لم يكن فكرتي. مع أنني أعترف أنني لم أحرك ساكناً لأمنع ذلك لحين شاهدت كم كنت خائفة ومرتعبة». أضاف.

«كنت تدير العمليات ـ تضحك علينا».

«يا الهي» قال ببطء وهو يحدق بها: «لم يثير ذلك هذا الانطباع لديك. نعم لقد ضحكت. إستمتعت برؤية السيد

www.elromancia.com

بلانش العظيم يستلم بعض الأوساخ من أي نوع كانت. أتعرفين من كانوا أولئك الأولاد، أتعرفين؟ هل أخبرك والدك أنهم كانوا أبناء بعض الرجال الذين طردوا من مصنعه دون أي سابق انذار؟ أراهن أنه لم يفعل» تصلب صوته: «جميعهم كانوا قد سبق وعاشوا بدون توظيف - وكانوا يتصرفون وفقاً لذلك. لن تفهمي أي شيء من هذا، أليس كذلك سيرينا؟ لم تعد عائلتك المهيمنة على وادي برستول الآن. لكنك لم تضطري مطلقاً للوقوف في صف المدرسة الطويل بانتظار مجيء دورك في الوجبة المجانية، أو ان ترتدي الملابس المستعملة. أو تصلّي ان يصل المال آخر الشهر».

إشتعل وجهها: «لا تجرؤ على انتقاد والدي! لقد بذل جهده الخالص للمحافظة على استمرار العمل في المصنع - ليؤمن العمل. كانوا الرجال يطردون من الأماكن الأخرى أيضاً».

هز كتفيه: «لكنه لم يستطع ان يفهم ان الأوقات كانت تتغير، أو تتغير معه. بصناعة القطن، فقط الأقوياء والمتأقلمين يعيشون. لكني لا ألومه كلياً. تدخلات جدك القوية والعنادية كانت ضاغطة وهكذا حين استلم والدك كل شيء كان الأوان قد فات».

«لا حاجة بك لتجد الأعذار له أو لأي فرد في عائلتي» قالت بحدة.

«سأجد هذا الأمر صعباً بالتأكيد في حالة داني».

«عندك الغطرسة - الجرأة الوقحة لتقول ذلك؟ ما كان

داني ليقع في هذه الورطة المالية لولاك. انت قدته نحوها عن تعمد».

حدق بها بعدم تصديق للحظة ثم انفجر بالضحك: «الآن لقد سمعت كل شيء! دعيني أخبرك شيئاً يا حلوتي. فيما يختص بالإغراءات، لا يحتاج شقيقك لأية قيادة. في البداية منعته من دخول الكازينو قبل عدة سنوات، لأني أدركت أنه سيكون مشكلة، وكان عندي شعور ان اللوم سيقع علي بطريقة ما. ولا أنا أخذته من يده وعرفته على المرابي الذي يستدين منه أيضاً. لقد دبر كل ذلك بنفسه».

هز رأسه: «لا سيرينا، ان كنت تعتقدين ان مشاكل داني سببها تخطيط خبيث مني لوضع يدي على جسدك المتناسق، فأنت تطمرين نفسك كثيراً. الظروف كانت متاحة وموجودة، وقررت استغلال ذلك لصالحي، هذا كل شيء».

«كل شيء؟» قالت باختناق: «يا الهي - كل شيء».

«وماذا كان من المفترض بي أن أفعل؟ أتصل بك بالهاتف وأطلب منك موعداً؟ كنت ستقفلين السماعة بوجهي. أرسل لك الأزهار؟ كانت سترمى مباشرة بسلة المهملات. آتي لمقابلتك في المنزل؟ كنت ستطلبين من خادم لا يزال يعمل عندكم بطردي خارجاً».

«كان عندك خيار آخر. كان بإمكانك تركي وشأني».

«لقد حاولت ذلك، يا حلوتي، حين كنت متزوجة وحين كنت هاربة في استراليا. لكن ذلك لم ينجح» صب المزيد من القهوة وناولها الفنجان: «الآن إشربي هذا. أأستطيع

تقديم بعض البراندي لك؟».

هزت سيرينا رأسها بالنفي بصمت، بحذر، وهي تحدق بالسائل البني الحار. غابريال أنهى فنجانه واسترخى على الكنبة وهو يحدق بها، ويديه خلف رأسه. كان قد خلع سترته وفتح بعض أزرار قميصه. بدا متراخياً لكن سيرينا، التي كانت كاللولب المتوتر، شعرت بالتوتر داخله أيضاً.

احتست القهوة حتى آخر رشفة وببطء متلاعبة بالوقت. وفيما انحنت لتضع الفنجان على الطاولة امتدت يد غابريال وأحاطت برسغها. جلست دون حراك دون ان تنظر اليه. فيما أصابعه تداعب بنعومة باطن كفها.

كانت هذه مداعبة خفيفة ورقيقة لكنها كانت مدركة تماماً لها كأنه قد قبلها أو امتلكها.

لدهشتها. شعرت ببعض عصبيتها تتبخر تحت رقة ونعومة لمسته. كانت قد رفعت شعرها بكعكة أعلى رأسها. والآن كانت يده تمتد الى رأسها وتزيل الدبابيس عن شعرها، ببطء وعناية. حتى انهمرت الكتلة المشعة كلها على أكتافها.

«هزي رأسك» أمرها بلطف، وأطاعته بصمت.

تنهد غابريال قليلاً بإعجاب وأصابعه تلوي إحدى الخصل الشقراء حولها وترفعها الى شفاهه.

«لا تقصيه» تمتم: «أبداً».

كان عليها ان تمتعض من النبرة الآمرة في صوته، لكن وبغرابة لم يبد هذا الأمر مهماً لها في هذا الوضع الغريب الجديد الذي كان يتملكها.

هذه ليست أنا، وجدت نفسها تفكر. لا يمكن ان يكون هذا يحدث. لكن لم تكن لها لا الشجاعة ولا القوة لتبتعد عنه.

انزلقت يده تحت شعرها رافعة إياه فوق مؤخرة عنقها مداعباً البشرة الناعمة هناك بحركة دائرية ناعمة. حان دورها للتنهد. شعرت بالضعف، بالليونة بالخفة كالقطة الصغيرة. المساند التي كانت تدعمها كانت كالغمام، وهي كانت تحلق فوقهم.

أصابع غابريال كانت لا تزال تتابع رسالتها، لكن جسدياً بدا بعيداً بمسافة طويلة، حدقت به، محاولة التركيز.

«كيف بإمكانك فعل هذا؟» سألته وصوتها يرتعش قليلاً: «كيف باستطاعتك ان تكون قريباً جداً، وبعيداً جداً لأميال بنفس الوقت؟».

«هل هكذا أبدو؟» كادت ان تراه يبتسم: «أعتقد يا حلوتي، حان الوقت لتذهبي للفراش».

«أجل» تركته يأخذ يدها وينهضها، بدون مقاومة على قدميها.

ذراعه كانت حولها وكانت مسرورة باتكائها عليه وهي تمشي. لأن السجادة كانت كثيفة جداً وكانت خائفة من أن تغرق بها.

أدركت بغموض دخولهما الى غرفة أخرى وبباب يغلق خلفهما، اضاءة أكبر ولون ذهبي وأبيض، حين حدقت بوعي أكثر عبر رموشها الذهبية رأت سريراً هائلاً.

«سرير بحجم ملكي» صوتها بدا متعجباً وبعيداً: «لم

www.elromancia.com

يسبق لي ورأيت واحداً مثله».

«أتعتقدين ذلك؟» كان يضحك: «انه أيضاً ملائم جداً لأوقات كهذه».

شعرت به ولم تستطع ان تحرك ساكناً. مصير أسوأ من الموت، فكرت بغبابية. هذا ما يدعون ما كان يحدث لها، وكانت هي تسمح بذلك.

حملها وتحولت بين ذراعيه الى طفل صغير. شاعرة بضربات قلبه خلف خديها. السرير كان غمامة أيضاً، أكثر نعومية من الكنبة، وغرقت به بامتنان ورموشها على خديها.

بالكاد شعرت بخياله. كان هناك شيء تريد ان تخبره اياه، فكرت، محاولة جر نفسها مجدداً الى الوعي والإدراك من حالة شبه الغيبوبة التي كانت بها. شيء مهم كانت بحاجة لتشرحه، لتحذره منه، لكن كان هناك الكثير من الخيالات الآن لدرجة انها لم تعرف أي خيال هو خياله ـ لم تستطع ايجاده.

رفعت يداً ملوحة فيما تحركت شفاهها لنطق اسمه.

غابريال، فكرت، غابريال. أنا لم أناديه هكذا من قبل مطلقاً.

حاولت بيأس نطق الكلمة، لكن الخيالات كانت قوية جداً، قادرة جداً ووصلت اليها، أحاطت بها، مغرقة إياها في عمقهم، حيث شعرت بالضياع.

انسابت العديد من الأصوات الى مسمع سيرينا حتى قبل ان تفتح عيونها. صوت مياه وصوت دندة أغنية ما فتحت عيونها فوراً ونظرت حولها بذهول ما الذي تفعله

هنا؟ هذه ليست غرفة نومها. تذكرت كلمح البصر ما حدث البارحة والذكرى أصابتها بالذهول التام. ما الذي حصل؟ هل اكتشف غابريال الحقيقة؟ هل إمتلكها؟ هل أدرك أنها لا تزال عذراء؟ أسئلة كثيرة دارت برأسها كالدوامة. أسئلة كثيرة ستظل بلا إجابات فقد نهضت كالمجنونة الملتاعة وجدت أنها كانت لا تزال ترتدي ملابسها الداخلية لكن كيف؟ هل؟؟ تناولت الفستان النيلي ارتدته على عجل ووضعت رجليها بالحذاء على عجل ودون ان تلقي نظرة أخرى على شكلها. ارتطمت وهي خارجة بالخادمة التي كانت على وشك إدخال فطور الصباح. لم تنتبه سيرينا لها الى ان سمعت الفتاة تقول: «آنسة بلانش؟!» إلتفتت سيرينا نحوها عندئذ ووجدت أنها كارمن فلاشا: «ها قد اكتمل حظي الآن» قالت سيرينا بنفسها: «انها الاذاعة الناقلة لكل أخبار من يسكن بالمنطقة. لا شك ان خبر قضائي لليلة في جناح غابريال سميث سيكون منتشراً على كل صغير وكبير في برستول قبل ظهر هذا اليوم».

«عفوا» قالت سيرينا باعتذار واختصار وغادرة على عجل.

كل همها الآن كان الهروب من شعور الإذلال والمهانة الذي كان مسيطراً على كل ذرة في كيانها. هي سيرينا بلانش قد انصاعت لرغبات عدوها اللدود غابريال سميث وسلمته نفسها حتى دون عراك أو على الأقل هذا ما تعتقده قد حصل. فهي لا تذكر شيئاً من ليلة البارحة سوى استلقائها على السرير المريح وبعد ذلك أصبح كل شيء

www.elromancia.com

مجرد خيالات وخيالات.

لحسن الحظ أنها أحضرت سيارتها البارحة معها فقد استقلتها وسارعت بالعودة الى منزلها وقلبها ينتفض بشدة كلما تفكر بما حدث.

قابلتها ليلى فور وصولها ونظرت بدهشة الى مظهرها المشعث وشعرها الغير مسرَّح.

«يا الهي سيرينا كأنك خرجت لتوك من وكر الشيطان؟ ما بك».

«ما تقولينه هو بالضبط ما حدث» قالت سيرينا لها بسرها لكن علناً قالت: «لقد تذكرت ان عندي عمل مهم يجب إنجازه الآن ولهذا فقد أتيت على عجل».

«وهل كانت إقامتك عند جلنار بلايد مفرحة؟» سألت ليلى والشك يتراءى داخل عيونها.

«أجل ليلى، كانت مفرحة ومسلية جداً. تعرفين جلنار وثرثرتها وأحاديثها».

«أجل، أجل. الفطور جاهز اذا رغبت بتناول أي شيء».

«لا شكراً. لا رغبة لي بتناول أي شيء» قالت وأسرعت الى غرفتها.

أغلقت الباب عليها واتكأت عليه بإرهاق: «والآن ماذا؟».

ما الذي سيحدث حين يخرج غابريال سميث من الحمام ويجدها قد غادرت المكان؟؟ قد يثور ويغضب وقد... يأتي الى هنا؟ لا هذا غير ممكن هو لن يكون

وقحاً وجريئاً لهذه الدرجة. يأتي الى عقر دار آل بلانش، لا هذا غير ممكن. من المحتمل انه سيتصل بها بالهاتف ويعنفها ويهددها و...

قطع حبل أفكارها صوت جرس الباب الذي كان يدق بإلحاح. قفز قلبها وأصبح بين قدميها، لحظات وسمعت صوت دقة على بابها هرب الدم بها من شرايينها.

جاءها صوت ليلى الغريب وهو يقول: «سيرينا ألا زلت بالداخل؟».

«أجل، أجل» سارعت سيرينا لتفتح لها الباب حين لاحظت ملامح المربية المذهولة والغير مصدقة.

«لن تصدقي من أتى يسأل عنك سيرينا، لا شك أنني أحلم أو ان هذا كابوس حي، انه... انه غابريال سميث».

كأنها لم تكن تتوقع ذلك؟! شحب وجه سيرينا أكثر مما كان شاحباً وردت بتلعثم: «وأين... الى أين أدخلته؟».

«لقد جعلته ينتظر في غرفة الجلوس، لكني لا أصدق ما أراه بعيني سيرينا، قولي لي أنني أتخيل هذا».

«هذا ليس خيالاً بل واقعاً سأنزل حالاً».

«لكن...».

«لا مجال للشرح الآن قولي له أنني نازلة حالاً».

سرحت شعرها ثم نزلت على الفور وقد تذكرت فجأة برعب ان هذا هو وقت قيام والدها بجولة على المنزل قبل ان يقضي ساعة من الوقت في غرفة المكتب.

يا الهي! سيموت والدي بالسكتة القلبية دون شك اذا ما

www.elromancia.com

رأى غابريال سميث داخل منزلنا؟!.

قسمات وجهه المتفجرة الغاضبة كانت أول ما واجه سيرينا. «اياك ان تفعلي هذا بي مجدداً سيرينا بلانش وإلا فإنك ستندمين على ذلك طوال حياتك» قال بصوت غاضب كان يجاهد ليحافظ عليه منخفض.

«أرجوك تفضل الى الغرفة لنتحدث، لو سمحت تفضل» قالت سيرينا بالهدوء الذي استطاعته. فكل همها الآن كان إبعاد الزائر العدو هذا من طريق والدها.

لحسن حظها وافقها غابريال سميث دون ان يعارض او يطلب الشرح. حين دخلا غرفة الجلوس الخلفية الصغيرة والمطلة على الحديقة الخلفية سارعت سيرينا بإغلاق الباب ثم تنهدت بارتياح. فوالدها لا يأتي الى هذه الجهة من المنزل عادة.

«هل أفهم سبب تنهيدة الارتياح هذه؟؟» سألها باستفسار.

«لا، لا شيء».

«لا تكذبي علي سيرينا بلانش، عندما أسألك شيئاً تجيبين عليه بصراحة».

«لا يحق لك ان تكلمني بهذه اللهجة» قالت له بحدة وقد التمعت عيونها الخضراء بخطر: «لست ملك لك غابريال سميث. يجب ان تفهم هذا جيداً».

«المسألة مجرد مسألة وقت يا حلوتي، حين أحدد أنا الوقت الذي أريد ستصبحين ملكي تماماً».

ارتعشت سيرينا للتصميم الذي التمع داخل عيونه الحادة

وظلت صامتة.

«في المرة القادمة أقسم انك اذا هربت مني بالطريقة التي اتبعتها هذا الصباح فإن غضبي سيتفجر وعندها ستلتفتين ولن تجدي إلا ناري الحارقة حولك وبكل مكان تأكل الأخضر واليابس العائد لأل بلانش بأكملهم».

أطرقت بصمت وانفعالات شتى تتصارع داخلها أرادت ان تلطمه ان تقتله لكنها أدركت انه قادر تماماً على تنفيذ كل كلمة تهديد تفوه بها. انهم جميعاً شقيقها والدها وهي نفسها تحت رحمة هذا الرجل والأفضل لها ان تلين وتهاوده. لحين تجد حلاً لهذه الورطة التي أوقعها بها طيش داني وبلاهته.

«آسفة، لا أدري ما الذي دهاني وجعلني أفر هاربة هكذا» قالت بصوت هامس وهي تجر الكلمات جراً من حنجرتها.

«هذا أفضل» قال باكتفاء: «اتمنى ان تكوني قد أمضيت ليلة هانئة البارحة».

احمر وجهها لا ارادياً للغة الغمز بجملته هذه وعادت اليها أسئلة الصباح ورأت ان هذه فرصتها لمعرفة حقيقة ما حدث. فقالت: «أنا لا أفهم ما الذي حدث بالضبط؟».

«لقد نمنا» قال ببساطة وعيونه تبرق بخبث: «انت بمساعدة كيميائية وأنا بنعمة الضمير المرتاح».

حدقت به بذهول وعدم تصديق: «ما الذي تقصده بحق السماء بكلمة مساعدة كيميائية؟».

«كنت في حالة عصبية متوترة واضحة» قال ببساطة:

www.elromancia.com

«قررت انك بحاجة لليلة نوم هادئة، وتدبرت ان تحصلي على هذا».

ظلت تحدق به: «هل تقصد فعلاً انك قد خدرتني؟ يا الهي، هذا أكثر الأشياء المخجلة...».

«بالكاد خدرتك» قاطعها بابتسام: «عندي بعض الحبوب المنومة التي احتاج أحياناً قليلة اليها لتساعدني على النوم وقد وضعت حبتين منهما لك بفنجان القهوة.

«يا لجرأتك» قالت بمرارة متذكرة غمامة التعب التي سيطرت عليها: «كانت كنقاط لصرعي».

«بدتا انهما ما تحتاجينه» قال وهو يتناول سيجارة من علبته ويشعلها: «كانت هناك انتفاخات تحت عيونك». أضاف بلطف.

«شكراً لك» قالت سيرينا وهي ترتعش بعصبية: «أعتقد انه لم يخطر ببالك مطلقاً أنني كنت تحت ضغط توتر كبير في الأيام الأخيرة؟».

«أنا واثق ان باستطاعتك دفع أعصابك الى ذروة توترها على أي أمر بسيط مثلك مثل أي امرأة». قال وهو يهز أكتافه باقتناع.

- ٥ -

عضت سيرينا على شفتها بقوة. رافضة ان تأخذ هذا الطعم: «لا أزال بحاجة لمعرفة ما حدث» قالت بعناد: «بعد ان وضعتني بالسرير، هل...؟» صمتت لعدم ادراكها كيف تصيغ العبارة المستفسرة.

ارتفع حاجبا غابريال: «نسبة لإمرأة متزوجة، سيرينا، انت حقاً ساذجة بطريقة غير معقولة» قال: «لو كنت قد عاشرتك البارحة، ألا تعتقدين ان جسدك كان سيعرف ذلك هذا الصباح؟».

دكن لون وجهها أكثر: «أ... أعتقد ذلك» اعترفت بخجل.

«وأنا واثق تماماً من ذلك» قال بغموض.

«لكن هذا ما دعوتني لجناحك من أجله».

www.elromancia.com

«لقد دعوتك للعشاء، الذي تناولته، وللفطور. فطور متنوع إقليمي. أنا لا أحب الوجبات الثقيلة في بداية النهار».

«لكنك جعلتني أعتقد...».

«الأسوأ» أكمل لها الجملة: «بالطبع قد فعلت، سيرينا. لقد استمتعت بوضعك في الصنارة. مشاهداً برودك الجامد ذلك يذوب حول الأطراف. وبدون أي داعي لذلك. لم يكن عندي أي نية بلمسك ليلة البارحة».

قالت بحدة: «أيها اللعين الحقير».

«لا تنعتيني بالأسماء يا حلوتي» قال بلطف: «أو قد أفكر أنا بإسم أو إسمين لأنعتك بهما».

«تستطيع التفكير بقاموس كامل، فيما يختص بي» قالت بأدب: «أنا سأتوقف عن هذه اللعبة فوراً. وباستطاعتك ايجاد شخص آخر لتعذبه بألعابك المقيتة».

«ستتوقفي حين أطلب أنا منك ذلك» قال بصرامة.

«لا تعاملني كطفلة».

«اذن توقفي عن التصرف كواحدة. تعرفين تماماً كما أعرف أنا ان الرحيل ليس اجزءاً من الاتفاق مطلقاً».

«أتنوي الاستمرار بـ... بهذه المهزلة؟».

«اذا هذا ما تريدين ان تسمي الوضع - فنعم. فهذا ما وافقت عليه بعد كل شيء».

«لم أعتقد انك كنت جاداً فعلاً - انك تنوي حقاً الاستمرار بذلك».

«لا تكذبي علي سيرينا، ليس الآن ولا لاحقاً. كنت

تعرفين دوماً نواياي فيما يتعلق بك. خطأك الوحيد ان اعتقادك أنني سأجرك الى الفراش فوراً، وأعترف أنني قد أوحيت لك بذلك قليلاً».

لم تنظر اليه: «لماذا - لم تفعل - ليلة البارحة؟».

«لأنك كنت متوترة، عدائية ومرهقة عاطفياً» قال بهدوء: «وكنت أيضاً غير واعية. أفضل الانتظار لبعض الوقت بعد، آملاً بأشياء أفضل» اقترب منها ورفع ذقنها بأصابعه حدق بها وصوته هادىء: «عندي صورة خيالية سيرينا، والتي كنت أعتني بها منذ فترة طويلة. انت، بين ذراعي، دافئة، مسترخية، وترغبين بي بنفس الدرجة التي أرغب بها بك».

سحبت نفساً حاداً وقالت: «اذن فستنتظر الى الأبد؟».

هز رأسه ونظرته تشبك نظرتها: «لا أعتقد ذلك. ليس عندي كل ذلك الصبر. وأشك ان يكون لك انت ذلك الصبر أيضاً يا حلوتي. انت فضولية منذ الآن - تسألين الأسئلة، وهذا جيد. وإذا كنت صادقة، فإن هذا كان أمر مقدراً لنا منذ اللحظة الأولى التي رأينا بها بعضنا البعض».

«لا».

«آه، بلى» قال بلطف: «بالرغم من كل ما حدث بالماضي - العداء، المرارة - فكلما التقينا أنا وأنت، كان الأمر نفسه دوماً. أنا أنظر اليك، انت تنظرين الي، لا تدعي انك لم تكوني شاعرة بذلك».

«غطرستك غير معقولة حقاً».

«ليس غطرسة» قال: «بل ثقة وتأكيد. معرفة من أنا والى أين سأصل. الشيء الغير ملموس الذي قاتل جدي من

www.elromancia.com

أجله».

«حسناً، لا تكن واثقاً تماماً من نفسك» ردت عليه: «أعتقد انك سمعت المثل القديم القائل من الابن الى الحفيد ولثلاثة أجيال».

ضحك تاركاً ذقنها: «هل هذا ما تأملينه لي - التحطم؟ هذا لن يحدث سيرينا سأعمل على ذلك. نحن آل سميث قد عملنا بجهد كبير وضحينا بالكثير لنحصل على ما حصلنا عليه وما لن نتخلى عنه أبداً».

«ذلك» قالت: «ما أعتقده آل بلانش أيضاً».

ابتسم بخبث لها: «غير صحيح فقد ولدت انت وبفمك ملعقة من ذهب! ولهذا لن تعرفي أبداً ما معنى كلمة معاناة. الآن كما سبق وأخبرتك إحذري غلطة واحدة أخرى وسيسبق السيف العدل ويقع المحظور. الآن سأتصل بك لاحقاً هذا اليوم».

«ولماذا؟» سألته بعدم اكتراث.

«لقد إتصلت ببعض وكلاء الأكواخ ليجدوا لنا بعضاً منها لنلقي نظرة عليهم».

الدهشة سيطرت عليها: «أكواخ؟ ماذا تقصد؟».

«جناحي فوق النادي مخصص لرجل أعزب بالكاد سترغبين بالعيش هناك على أسس دائمة».

«انت حقاً تريدنا ان... ان نعيش معاً؟» سألت بعدم تصديق.

«وماذا كنت تتوقعين» التمعت عيناه بشدة: «سلسلة من الليالي المشتركة؟».

«أجل - لا - لا أعرف» ردت بتلعثم: «آه، هذا مريع».

«لن يكون الأمر بهذا السوء» قال برقة.

«كيف... كيف تجرؤ على الافتراض أنني ساكون مستعدة لـ... للعيش معك تحت سقف واحد؟».

«لقد عشت مع ستيف تحت سقف واحد» رد بنبرة عادية.

«لقد تزوجته».

«هذا صحيح» قال بتأمل: «وهل كان ذلك شرطاً أساسياً؟».

«ماذا تقصد؟».

تصلبت عيناه وقال: «هل كنت ستعيشين مع ستيف - ستشاركينه الفراش دون ان يكون هناك خاتم زواج بأصبعيكما؟».

«لا يحق لك ان تسألني هذا!».

«عندي كل الحقوق التي أريد» رد بقسوة: «لقد اتفقنا على ذلك من قبل ومجيئك إلي البارحة يعني موافقتك على كل الشروط، اذن ما كانت الشروط المسبقة لعلاقتك بستيف؟ هل بقيت عذراء ليلة الزفاف؟».

«لا يحق لك ان تستجوبني هكذا».

«بكلمات أخرى الجواب هو أجل» قال وعيونه تبرق بوحشية: «أخبريني المزيد سيرينا هل عرف ستيف انك كنت تستعملينه ببساطة كمهرب مني، أم هل خدعته بالتظاهر بأنك تحبينه؟».

«اللعنة عليك» قالت بصوت مخنوق: «لقد أحببت

www.elromancia.com

ستيف ـ لقد فعلت . . . ».

«لكن ما هو تعريفك للحب، اذن؟» نهض غابريال على قدميه: «نوع الحنان الذي تعطيه لحيوان مدلل عاجز ضل طريقه في حياتك ـ الاهتمام، لكن بدون عاطفة». اقترب منها ليقف قربها. كان هناك غضباً في وجهه وشيء آخر لم يكن من السهل تعريفه: أم هذا؟».

أمسك بكتفيها، ساحباً اياها اليه. للحظة تراقص الوجه الداكن أمام عيونها الرطبة، ثم تملكت شفاهه فمها.

أغمضت عينيها غريزياً، متوقعة التعرض لوحشيته وعنفه كما حدث قبل سنتين وكانت ترتعش لذلك، لكنها كانت على خطأ. هذه المرة شفاهه كانت دافئة وحسية وهما تتحركان فوق شفافها، مكتشفتين رطابة ونعومة فمها.

وقفت دون حراك مذهولة بين ذراعيه ومدركة ان بأعماقها يتزايد شعور بطيء ممتع ودافء. فمها بدأ يرتعش تحت شفاهه وضغطها المقنع فتنهدت وشقت شفاهها لا ارادياً لتستمتع أكثر بقبلته.

حضن وجهها بين يديه وأخذ يقبلها بدفء وألم متنفساً لهاثها وممتصاً رحيق شفاهها. جسد سيرينا كله كان يرتعش، وذلك الدفء الغريب العميق قد تحول الى موجة جارفة أغرقتها وجعلتها ببطء تبادله قبلاته. الصوت المحذر الصغير داخل عقلها حذرها من فعل هذا ـ لكن لم يعد لعقلها أية سيطرة عليها. لم يسبق لها وقُتلت بهذه الطريقة من قبل ـ لم تعرف ولم تريد ان تعرف كيف سيكون الأمر. الآن، بخوف، شعرت بعدم شعورها بالحياة من قبل حتى

هذه اللحظة ـ مذهولة من المعرفة التي بمقدور هذا الرجل فقط ـ عدوها الأبدي ـ اعطائها إياها.

هذا خطأ ـ خطأ، فكرت بأية لحظة قد تغرق على الأرض، بدون قوة بدون ارادة كالقطة الصغيرة. في أية لحظة . . .

انتزع غابريال شفاهه من فمها بتنهيدة صغيرة، وأخذ ينظر اليها للحظة، وتنفسه لاهثاً. واللون يلون وجنتيه. ترنحت سيرينا نحوه ومدت ذراعيها حول رقبته متعلقة به، كأنه الحقيقة الوحيدة في هذا العالم المجنون.

وحاجتها، رغبتها، كانت جزءاً من ذلك العالم المجنون.

غاب العالم للحظات وتركز الكون بالأحاسيس التي كانت شفاهه الدافئة تشعل داخلها التصقت به وأحاط بذراعيه جسدها الفتي وسمعته يقول:

«هل كان الأمر هكذا معك؟» الكلمات شقت طريقها الى وعيها: «هل رغبت بستيف هكذا، سيرينا؟ أخبريني بالحقيقة»

ماذا يهم هذا الآن؟ أرادت ان تصرخ دافعة الحقيقة المخجلة بعيداً. ما أهمية أي شيء في العالم غير هنا والآن؟.

قال بغموض: «أجيبيني، عليك اللعنة».

«لا . . . أستطيع» حتى وشفاهها ترسم الكلمات، بدا صوت طرقة على الباب وصوت ليلى يقول: «سيرينا انت هنا؟».

قاسياً ومصراً عبر الغرفة، ومعه آخر خيط من خيوط الشبكة الحسية التي أحاطت بها إنقطع. فجأة. صارت سيرينا حرة. واقفة بمفردها ويد مصدومة تضغط على وجنتها فيما غابريال شاتماً من بين أسنانه، يتجه نحو الباب.

إنتظر قرب الباب للحظات لحين استعادت هي كامل وعيها، فمسدت شعرها المشعث ومسحت وجهها الملتهب ثم أصلحت من وضع ثوبها وغمامة الذهول لا تزال تسيطر على حركاتها.

فتح غابريال الباب ورأى المربية تقف خلفه.

«لقد اتصل داني من المستشفى» قالت موجهة الحديث الى سيرينا الواقفة في وسط الغرفة: «يقول ان كارول في حالة وضع مبكر وأن الطفل على وشك ان يولد لن يتمكن هو من المجيء ويطلب منك الذهاب اليهم حالما تستطيعين».

«حسناً، سأفعل شكراً لك ليلى» قالت سيرينا بصوت هادىء.

حالما ابتعدت المربية التفت غابريال اليها وقال: «انت تدهشينني سيرينا لقد اعتقدتك سهلة التنبؤ».

الخجل من ردة فعلها لقبلاته كان يشعل خديها فقالت بصوت خافت: «أولست كذلك؟».

«بالنظر لما حدث للتو يا حلوتي فأنت النقيض لهذا بالضبط».

«لا تناديني بهذا الاسم» ردت بحدة.

«ولماذا؟ انت حلوة، جميلة كما وعدتني أحلامي» تنهد بعمق قبل ان يتابع: «إنتظارك سيرينا لن يكون أمراً سهلاً. أعرف ذلك الآن. لكني أيضاً أعرف المحتوم ـ الاستسلام سيكون كل ما أتوقعه وسأتوقع أكثر من ذلك أيضاً».

«لا تعتمد على ذلك» ردت بحنق: «هذا أفضل لك».

ضحك برقة وقال: «سنرى ذلك لاحقاً، الآن سأتركك للقيام بواجبات الشقيقة الحنونة وابعثي بسلاماتي لشقيقك العزيز داني فبعد كل شيء هو من جعل كل شيء يتحقق سأتصل بك لاحقاً الى اللقاء يا حلوتي».

رمته سيرينا بنظرة هائلة قبل ان يغادر إلا انه ابتسم للغضب الذي كان يلون عيونها ورحل.

«اللعنة عليك» قالت بصوت عالي.

لا أستطيع الاستمرار بهذا، هذا مستحيل يجب ان أرى داني وأحدثه بما يطلبه غابريال سميث منها، سيغضب ويحتد وسيكون عليها تهدأته.

عليهما التفكير بطريقة أخرى لرد ديونه، عليهم ذلك وهي كان عليها عدم التفاوض معه منذ البداية كان عليها طرده دون الاستماع لكلامه، ما كان يجب ان تصل لهذا الحد.

رفعت أصابعها المرتعشة ولامست شفتاها. لكنها لم تفاوض على تأثير قبلاته عليها. اعتقدت ان كرهها القديم له واشمئزازها من أساليبه كانا كافيان كدرع لها ضد خبرته وجاذبيته الطاغية.

لكن كانت على خطأ؟.

يا لهذا الخطأ الكارثي الكبير، وتذكرت نجاتها الصغيرة البارحة ليلاً لولا حبات المنوم، لولا امتناعه هو عن امتلاكها ـ ماذا كان سيحدث؟ كان هذا سؤالاً بدا فجأة من المستحيل معرفة الاجابة عليه.

كانت مقتنعة ان برودها وتمنعها وكرهها له سيبقيها متباعدة حتى ولو وافقت على ما يعرضه لكن بدرس قصير واحد وللحظات أثبت لها غابريال خطأها.

هزت رأسها بعدم تصديق، كيف استطاعت ان تقف هكذا دون حراك، سامحة له بالإرتشاف من كل ما يريده. وبحثت أكثر عن نفسها.

الاعتراف كان مريعاً. لكن عليها مواجهته. لو انه عرّاها من كل ملابسها وامتلكها تماماً على أرض هذه الغرفة، لما كانت منعته.

عقلها، روحها، كرامتها كانت لترفضه، لكن جسدها أراده، ببساطة وكمال كما يطلب الأكل والماء. لكن لو أنها استسلمت له، لكانت ضاعت الى الأبد بهوة مدمرة من خيانة الذات.

ما كنت لأسامح نفسي مطلقاً، فكرت، وهي ترتعش.

لا بد من وجود طريقة أخرى لدفع الدين له. هناك مجوهرات والدتها فكرت بألم. فقد انقسمت بالتساوي بينها وبين داني و لكن هل ستتمكن من التضحية بكل ما تبقى لها من والدتها الحبيبة؟.

أما فيما يتعلق بحصة والدها فهذا أمر لا مجال لمناقشته والدهما بحاجة لهذا المبلغ الدائم لسد نفقاته وإيجار ليلى

وستنع اللذان يهتمان به.

وأيضاً كيف من الممكن إخفاء الأمر عن والدها، ان غباء داني وتهوره عرض للخطر مصنعهما ومنزلهما وكل شيء؟.

وبالمقابل اذا أرادت خداع غابريال سميث وعدم الانفراد معه فهو سيعرف فوراً لعبتها وسيصب جام غضبه على داني ويسحبه الى المحاكم ويعلن افلاسه ويقوده الى الانهيار الكامل.

آه! يا لشبكة العنكبوت هذه المنسوجة حولها بمهارة. لا بد من وجود حل ما لا بد. ستذهب لرؤية داني وكارول الآن وقد تتمكن من التحدث معه.

التقت بالمربية وهي تغادر غرفتها بعد ان بدّلت ملابسها.

«سيرينا أشعر بأن هناك خطر ما محدق بنا أقصد بكم ما الذي أتى بغابريال سميث الى هنا؟ تعرفين ان أحداً من أفراد آل سميث لم يخطو قرب هذا المنزل منذ أجيال! لو رآه والدك لكانت الكارثة».

«ليلى أرجوك، سأطلعك على كل شيء في حينه أرجوك إكتفي بهذا الآن وثقي بي. قولي لي كيف هي حالة والدي اليوم؟».

«انه بخير لكنه يغرق أكثر وأكثر. بغيبوباته ويفضل ألا يزعجه أحد».

«حسن سأقضي بعض الوقت معه حين أعود سأذهب الآن الى المستشفى».

أفكار كثيرة كانت تتجول برأسها طوال الطريق وهي تقود السيارة نحو المستشفى لا شك ان الهموم قد ازدادت الآن فوق رأس داني بوصول الطفل المبكر ومعه ستزداد المصروفات والتكاليف ووالدها كما يبدو بحاجة لطبيب نفسي ليخرجه من العزلة التي يدفن نفسه بها والثمن بكل هذا هو استسلامها لغابريال سميث ولكل ما يطلبه منها. إما الاستسلام لشروطه وإما الكارثة والدمار.

«سيرينا الحمد لله انك قد وصلت» سارع داني ليقول لها حالما رآها ووجهه يعكس مدى قلقه وعيونه المنتفخة تقولان لها أنه قضى الليل ساهراً: «لقد ظلت كارول داخل غرفة الولادة منذ الساعة الواحدة ليلاً حتى الخامسة صباحاً، لقد أنجبت لي ولداً سيرينا. أصبحت والداً ماذا نطلق على الطفل؟ هل عندك اسم معين؟».

«من الأفضل ألا أخبرك بالاسم الوحيد الذي يجول بخاطري الآن».

قالت سيرينا بسرها لكنها ابتسمت لشقيقها وقالت: «الحمد لله على السلامة. ومبروك لك لا شك ان كارول لا تزال تحت تأثير المخدر».

«هذا صحيح» رد داني: «والدتها معها، آه! يا لهذه الليلة. أخبريني سيرينا هل فكرت بطريقة ما حتى تبعدي غابريال سميث عن ظهري لبعض الوقت آه يا عزيزتي عندي الكافي من المتاعب مع كارول والطفل».

شعرت بالغضب يزداد داخلها لكم يهون داني الأمور ويبسطها لقد أدركت منذ البداية أنه قد ورط نفسه وورط

جميع عائلته معه بهذا بسبب تفكيره الأناني الغبي.

«داني يجب ان تعرف ان هذه مشكلتك وليست مشكلتي».

«شكراً جزيلاً لك يا أختي الحبيبة» قال لها: «ويجب ان تعرفي انت أنه اذا تمرغت أنا بالوحل فسيتمرغ بذلك كل آل بلانش. أم انك لا تهتمين لهذا أيضاً؟».

نظرت اليه بغضب وإشفاق هو كان ضعيفاً وسيظل كذلك طوال حياته. قالت: «لا، أنا أهتم كثيراً. ولهذا علينا ان نتحدث سوياً بجدية وموضوعية».

«ستتحدث بذلك لاحقاً الآن سأدخل لأطمئن على كارول والطفل لربما تكون والدة كارول قد اختارت لنا إسماً».

«يا لك من شقيق» تمتمت سيرينا وهي تسير خلفه عليها هي ان تقف بوجه غابريال سميث وان تمنعه من تلطيخ اسم عائلتها ومن تحطيم والدها الى الأبد. هذه هي تبعات ان تكون شقيقة لداني الأناني الضعيف. كان عليها ألا تهرب قبل سنتين يقع عليها بعض اللوم بالحالة التي وصلوا اليها فهي كانت تعرف ان داني غير ناضج كفاية وأنه يلتجيء دوماً لأسهل الطرق ليصل الى الثروة والمال. لقد كان ضحية سهلة لألاعيب غابريال سميث لكنها لن تكون كذلك. ستكون قوية وستكون قادرة على محاربة غابريل سميث بمفردها مهما كانت الأسلحة المتوفرة لديها.

داعبت رائحة البنج فمها فور دخولها الى غرفة كارول التي كانت قد استيقظت للتو من البنج.

www.elromancia.com

«داني حبيبي إبق هنا بقربي أشعر بالإرهاق والألم كيف كان الطفل. أيشبهك أم يشبهني؟ أخبرني هل اخترت له إسماً؟ يجب ان يكون إسماً جميلاً داني».

«أجل، أجل يا حبيبتي ارتاحي انت الآن فقط».

«هل رأيت الطفل سيرينا؟» سألت كارول مجدداً.

«ليس بعد سأمر لرؤيته وأنا خارجة فهو في غرفة الحضانة».

«انه بصحة جيدة تماماً مع أنه قد وصل قبل وقته مع بعض العناية والتغذية سيصبح كالحمل الصغير بظرف أشهر» قالت والدة كارول بحب.

«أجل يجب ان أغادر أنا الآن كارول، نشكر الله على سلامتك أتريدين ان أحضر لك شيئاً ما؟».

«شكراً لك سيرينا سيحضر لي داني كل ما أطلب فهو سيبقى الى جانبي طوال اليوم، أليس كذلك يا حبيبي؟».

«بالطبع» أجابها داني وهو ينظر اليها بحب.

«حسن الى اللقاء الآن».

ودعتهم سيرينا وعادت الى المنزل لتناول طعام الغداء. حالما انتهت من الأكل وكانت قد اطمأنت على والدها فور عودتها وأخبرته عن انجاب حفيد له رن جرس الهاتف.

«ألو، سيرينا؟» جاءها صوت من تتوقع.

«أجل أنا هي».

«أنا بانتظارك في جناحي تعالي الى هنا فوراً. سأنهي بعض الأعمال ونذهب لرؤية الأكواخ كما اتفقنا».

«أضروري هذا؟». سألته فوراً.

«ضروري جداً كوني هنا بعد عشر دقائق».

يا لك من متعجرف كان ما يجول بأفكارها وهي تبدل ملابسها استعداداً لموافاته الى جناحه. ارتدت بنطالاً أبيض اللون وبلوزة بيضاء ووضعت حزاماً جلدياً وحذاءاً جلدياً مذهباً ثم سرحت شعرها وأضافت بعض اللون الى فمها وغادرت المنزل.

وجدت باب الجناح مفتوحاً فدخلت وكان هو في غرفة المكتب.

«أهلاً سيرينا» قال حين سمع خطواتها. كان يحمل سماعة الهاتف وقال لها: «إنتظريني للحظات في غرفة الجلوس لو سمحت سأنتهي بعد قليل».

دخلت الى غرفة الجلوس التي كانت على الطراز الأمريكي المريح والملون وأخذت تنظر الى اللوحات الكثيرة التي كانت منتشرة هنا وهناك على الجدران بشكل جميل ولافت للنظر. كانت ترمق اللوحات الزيتية هذه حين لفت نظرها صورة صغيرة لإمرأة بالأسود والأبيض. كانت الصورة قديمة كما هو واضح من تسريحة شعر المرأة ومن ثيابها لكن وجه المرأة كان مألوفاً، مألوفاً جداً لها. من هي صاحبة هذه الصورة يا ترى؟ شعرت سيرينا بالفضول وحالما دخل غابريال الغرفة سارعت بسؤاله: «كنت أتساءل عن هوية تلك المرأة، أشعر وكأني قد رأيتها في مكان ما؟».

«حدق بالصورة وسألها بدوره: «ألا تعرفين صاحبة الصورة حقاً؟».

«وهل يجب ان أعرفها؟».

«بالتأكيد فالجميع يعرف صورة جدته عادة» رد بجفاف: «وخاصة انك قد سميت باسمها».

ظهرت الدهشة الخالصة على وجه سيرينا وقالت: «جدتي؟! لكن... لكن ما الذي تفعله صورة جدتي في منزل آل سميث؟».

«تبتسم» رد غابريال.

حدقت سيرينا بصورة المرأة. كانت حقاً جميلة ولا تشبه صورة جدتها الموجودة في ألبوم والدها. هذه المرأة تبدو حية تنضح بالشباب والحيوية عيونها براقة متفائلة وابتسامتها تعبر عن السعادة والفرح.

«لا أنت لا شك تمزح. آخر شيء يفعله أحد من أفراد سميث هو ان يحتفظ بصورة أحد آل بلانش داخل منزله إلا اذا استعملها كمصدر لتركيز الكره».

«لن ينظر أي شخص الى جدتك من هذا المنظار» قال باسترسال: «كانت سيرينا روبن بلانش محط اعجاب واحترام الجميع وكذلك حبهم».

«أعتقد أنك مخطأ» قالت وهي تتذكر مجدداً صورة جدتها وجدها داخل ألبوم والدها: «المرأة في هذه الصورة لا تشبه جدتي بأي وجه».

«اذن لنقول فقط أنني أتخيلها هكذا ونترك الأمر عند هذا الحد. انت لم تعرفيها مطلقاً أليس كذلك؟».

«هذا صحيح، لقد كانت شابة ويافعة حين ماتت... والدي لا يتحدث عن والدته كثيراً، لكن ليلى أخبرتني مرة

أنها كانت تنتظر مولوداً جديداً مات وكان هناك تعقيدات أخرى».

«ألم يكن ذلك غريباً ـ حتى في تلك الأيام؟».

«ربما» فكرت سيرينا بصورة جدتها الواقفة قرب جدها المرأة كانت ذات بنية صحية ضعيفة ودون رغبة بالحياة كما يبدو.

«قصة محزنة» قال غابريال بعد فترة صمت: «الكثير من الجمال والسحر ـ يتبخر هكذا بلحظة».

«أشعر وكأنك تعرف شيئاً بهذا الخصوص لا أعرفه أنا». قالت فجأة.

نظر غابريال اليها نظرة غريبة للحظات طويلة قبل ان يقول: «لنترك الماضي الآن ونهتم بالحاضر. سأذهب وإياك لرؤية بعض الشقق والفيللات. لقد اتفقت مع أحد السماسرة على ذلك».

«ألا نستطيع تأجيل هذا الأمر لبعض الوقت؟» سألته بلطف.

«كلا، الآن يعني الآن هيا بنا».

أول محطة لهم كانت فيللا أرضية صغيرة في شارع فان رود الفاخر. الفيللا كانت محاطة بحديقة غناء ومنظرها يبدو ساحراً حتى قبل ان يروها من الداخل.

حياهم شاب طويل القامة ببذة رسمية حالما وصلا وقال: «السيد ساندرو مايك بخدمتكم سنبدأ جولتنا بتفحص هذه الفيللا وننتقل بعد ذلك الى الشقق والفيللات الأخرى التي حددناها لك سيد سميث وفق طلبك».

www.elromancia.com

تنقلا بغرف الفيللا لكن سميث أبدى عدم اعجابه بها بسبب الممرات الكثيرة التي تفصل بين الغرف وبسبب ضيق الغرف نوعاً ما.

«نفضل ان نشاهد مكان آخر» قال غابريال باختصار وأمسك بذراع سيرينا التي اكتفت بالنظر الى عيونه المهددة فامتنعت عن سحب ذراعها من ذراعه.

«سنذهب الآن لمشاهدة أفضل فيللا في الجوار، انها واسعة بحديقة غناء حولها. غرفها واسعة ومشرقة كما وأن أثاثها سيحوز بالطبع على اعجابك آنستي. الأثاث بأغلبيته من الطراز الحديث إلا غرفة النوم التي ستكون مفاجأة لكم».

الفيللا الجديدة كانت فعلاً رائعة بغرفها الأنيقة الواسعة وشبابيكها الكبيرة التي تسمح لكل ضوء النهار ان يتغلغل داخل المكان. صاحب الفيللا كان بانتظارهم وحياهم فور دخولهم غرفة الجلوس الواسعة ذات المدخنة القديمة الفكتورية.

«أهلاً سيد سميث أهلاً آنسة بلانش، أنا السيد ايفان ترامب مالك هذا المكان حالياً».

حيته سيرينا وجلست وذراع غابريال لا تزال تمسك بذراعها.

«لا أريد ان أطيل عليكم الحديث لكني أود توضيح نقطة صغيرة قبل ان تتفحصوا بقية غرف المكان».

«تفضل سيد ترامب» قال غابريال برقة للرجل العجوز.

«لقد بنيت هذه الفيللا بكل حب وسعادة وقد قضيت بها

مع زوجتي الراحلة آنجيلا أجمل سنوات عمري. كل شيء في هذه الغرف ينطق بالسعادة التي عشتها مع آنجيلا وبالحب الكبير الذي كان بيننا ولهذا فقد طلبت من السمسار ألا يعرض الفيللا إلا على خطيبين شابين وكلي أمل ان تشهد هذه الجدران على سعادتهما وحبهما كما كانت دوماً الشاهد على سعادتي وآنجيلا وحبي الكبير. وعندي مطلب صغير سيد سميث وآنسة بلانش اذا ما حاز المكان على اعجابكما وقررتما ان يكون هو عش الزوجية خاصتكما فأرجوكما لا تبدلا كثيراً بالديكور هذا طلب أناني مني أعرف لكنكما ستؤمنان لي السعادة اذا ما نفذتماه ولو لفترة قصيرة فقط».

كلماته الصادقة جعلت الدموع تترقرق داخل عيون سيرينا وبعد ان جالا على بقية غرف الفيللا التي كانت رائعة بالفعل بألوانها وديكوراتها وأثاثها القديم الساحر. شعرت سيرينا وكأن شيئاً ما كان يضغط على عنقها وشعرت بالدموع تتحجر داخل عيونها سارعت بمغادرة المكان حالما انتهوا من تفقد الغرف وحتى قبل ان تودع الرجل العجوز اللطيف.

سارع غابريال اليها بعد خروجه من الفيللا وسألها بدهشة: «بالله عليك ما بك سيرينا ألم يعجبك المكان».

صمتت للحظات تمالكت بها نفسها ثم قالت: «لا أريد هذا المنزل، لا أريده».

«ولكن لماذا؟» سألها بحيرة: «مهما رأينا من أماكن أخرى فهي لن تكون بمثل هذا المكان من حيث الجمال

www.elromancia.com

والراحة».

«قلت لا أريده».

قطب وهو يحدق بها للحظات بعيونها الداجعة ورأسها المنحني ثم قال للسمسار: «حسن سيد مايك سأبلغك بقرارنا لاحقاً سنستأذن أنا وخطيبتي الآن وسأتصل بك في السابعة من مساء هذا اليوم».

دخلت السيارة وأغلقت الباب وظلت صامتة وهو يجلس في مقعده ويقود السيارة مبتعداً عن المكان.

«الى أين نحن ذاهبان؟».

«الى المطعم لتناول الغداء».

«لست جائعة أريد العودة الى منزلي».

أوقف السيارة على جانب الطريق واستدار نحوها وأمسكها بقوة قائلاً: «هيا سيرينا قولي لي ما الأمر لقد كان تصرفك غريباً ماذا حدث هل تذكرت ستيف الحبيب؟».

تمسكت بالقشة التي رماها لها وقالت: «أجل، بالرغم من أنك تعتقد أنني لا أملك أية مشاعر».

«على العكس أنا أعتقد أنك كتلة مشاعر وعواطف حية. مع أن كيفية توجه هذه المشاعر والعواطف الى ستيف هو أمر سنناقشه في يوم من الأيام. الآن أخبريني ما هو سبب انزعاجك؟».

«لقد قلته لك».

«سبق وقلت لك سيرينا ألا تكذبي علي، هيا تكلمي».

إشتدت قبضة يده على ذراعها فشعرت بالألم وقالت: «بحق السماء لقد سمعت الرجل وما قال المنزل مبني طوبة

طوبة بدافع الحب، كل شيء بداخله ينطق بهذه الحقيقة. تستطيع ان تستنتج نوع الطبيعة التي كانت بينه وبين آنجيلا زوجته. لقد اعتقد... أننا... أننا نحب بعضنا البعض بدورنا... أننا كنا نبحث عن منزل حقيقي لنا. هو لا يعرف أي شيء عن الحقيقة أشعر بالاحتقار الشديد لنفسي. أشعر بالعار بأنني كاذبة ومتظاهرة ومحتالة».

بعد فترة صمت طويلة قال: «انك تبالغين برد فعلك».

«ربما» ردت: «لكني غير مستعدة لخداع الرجل اللطيف بالترتيب الكريه الذي تجبرني عليه. لن أعيش بذلك المنزل ولن أنام بتلك الغرفة».

«رومانسية لأبعد الحدود» علق غابريال بتهكم: «هل تعتقدين أنك بموقع إعطاء الشروط؟».

«لا أعرف ولا أكترث» ردت بغضب: «أنا أعني ذلك. لن أعيش وإياك بذلك المنزل».

صمت مجدداً وهو يحدق بها بتقطيب: «اذن سيكون علينا فقط البحث عن منزل آخر في مكان آخر».

حدقت به بغضب وبخيبة أمل أجل خيبة أمل، فهي لم تتوقع ان يستسلم هكذا بسهولة أرادت... ماذا؟ ان يجادلها ان يقنعها لكن... لماذا؟.

«أريد العودة الى المنزل أرجوك» سمعت نفسها تقول فاكتفى بأن نظر اليها مطولاً قبل ان يدير السيارة وينطلق مجدداً.

«ألا ترغبين بتناول الغداء؟».

«لا، شكراً» تدبرت ان تقول عبر حنجرتها الجافة:

www.elromancia.com

«عندي بعض الأمور بحياتي الخاصة وأرغب بالاستمرار بها طالما ذلك بإمكاني».

ضحك: «لكم تحبين ان تغرقي نفسك بالدراما يا حلوتي! إهربي! اذا كان عليك ذلك. لا أنوي الاحتفاظ بك بأصفاد».

ليست أصفاد ظاهرية، قالت لنفسها وهي تبتعد دون ان ترد عليه. لكن قيود خاصة بدأت تطبق عليها وأخذت تشعر بالخوف. الخوف والرعب الهائل.

كان من السهل عليها التفكير بتحدية والاستفادة منه ومقاومته حين يكون بعيداً عنها... ولكن حالما تلتقيه، يسيطر بسهولة ونجاح عليها. كم تزداد صعوبة سيطرتها ليس فقط على جسدها بل على عقلها وقلبها وهي معه.

الفيللا هي التي جعلتها تشعر بذلك، فكرت، وهي تبتعد نحو منزلها. انها ساحرة جداً، بجو يؤمن لها السلام والإطمئنان. بدأت حتى بتلك الزيارة القصيرة. تعشق العيش بها.

لم تشعر بهذا الشعور مطلقاً بالشقة التي تشاركتها مع ستيف لفترة قصيرة، فكرت وقلبها يعتصر. لكن الشقة لم تكن ملكهما. لقد استأجراها من عمة ستيف لفترة محددة لحين يجدا منزلهما الخاص.

الآن وأخيراً لقد وجدت منزل أحلامها فقط لتجد نفسها مضطرة للإستغناء عنه بنفس الوقت.

يا الهي، فكرت، وهي ترتعش، لكن كان من السهل جداً عليها تخيل نفسها تعيش هناك، ترتب أدوات المطبخ

الجميلة، تعد الطعام تجلس على الكنبة المنخفضة تراقب اشتعال النار داخل المدفأة وهي تقرأ أحد الكتب. كل الصور المغوية الجميلة.

و- أكثر من كل شيء - تستيقظ داخل ذلك السرير المصنوع للعشاق - وليس بمفردها.

لأنها لم تكن وحدها بكل تلك الأحلام، أدركت، بدأت حنجرتها تؤلمها للغصة المكبوتة. دائماً كان هناك شخص ما بجانبها، يمسك بيدها، يضع زهرة في شعرها. يضحك لاشتعال الشرارات داخل المدفأة. شخص موجود لها - ضحكته تنعكس داخل عيونها. دائماً شخص ما...

شهقت بشدة وهي تغلق باب غرفتها عليها لسبب مستحيل وهو الإدراك ان ذلك الشخص لم يكن مجهولاً، لم يكن بلا وجه، ولا اسم. كان رجلاً محدداً، واحداً لا غيره، الحبيب الجالس قربها كان له وجه واسم وهوية جعلت كل ذرة في كيانها ترتعش.

لأن غابريال سميث عليه ان يكون جزءاً من كابوس ما وليس من حلم حب حنون رقيق. هو يجلب الخوف وليس الأمل. الحسابات الجامدة وليس الحنان، القلق وليس الأمان.

«انه عدوي» صرخت بصوت عالي وهي تضرب يديها على سريرها: «أنا أكرهه، وبسبب ذلك، بسبب الكره، هو موجود داخل رأسي، مالئاً أفكاري لا يوجد سبب آخر. من غير الممكن ان يكون هناك سبباً آخر. لن أفكر بذلك. لن أسمح بذلك!».

www.elromancia.com

ماتت كلماتها بالصمت. وبذلك الصمت أدركت ان الأوان قد فات ان الصراع قد انتهى، ان قيودها قد زُودت ومصيرها قد خُتم. كلياً، وتماماً.

ابتلعت سيرينا غصتها ودموعها. بطريقة ما وضد كل المنطق وكل العقل وقعت بحب غابريال سميث.

«يا الله! آه يا الهي» همست بحرقة: «ساعدني يا الله».

لم يغمض لسيرينا طرف طوال الليل وادراكها للحقيقة التي كانت كامنة في أعماق نفسها يؤرق جفنها ويشل تفكيرها. كيف لم تعرف هذا، كيف؟ خيال غابريال سميث كان دوماً معها كان دوماً الى جانبها حتى وهي متزوجة من ستيف. كانت تستلقي بجانب ستيف على السرير وكان غابريال هو من يشغل أفكارها. سبعة أشهر من التعاسة قضتها مع ستيف المسكين الذي اكتشفت بعد زفافها أنه رجل غير سوي غير قادر على الزواج أو على مشاركة الفراش مع أية امرأة. تحملت هذا لأنها هي في الحقيقة من احتالت عليه وجعلته يطلب يدها لتحمي نفسها من غابريال سميث. هذا الوضع كان كارثة ليس عليها هي فقط التي تقبلته على مضض ورضيت بنصيبها بل على ستيف نفسه الذي كان يتمزق كلما رآها وأخذ يغرق نفسه بالشراب والخمرة الى ان قضت الخمرة عليه وقضى بحادث الطائرة تلك.

الماضي كله كان مأساة لها وها هو الحاضر يصبح ناراً مشتعلة بعد اكتشافها لحبها لعدوها اللدود غابريال سميث.

أشرق فجر اليوم التالي عليها وهي لا تزال ساهرة وعند

السابعة استحمت وارتدت ملابسها ثم نزلت لتناول الفطور.

داني المتجهم كان أول من قابلته بعد تناولها للفطور. حدق بها بغضب لا تعرف سببه قبل ان يقول: «سيرينا أريد ان أحدثك بموضوع هام. لنذهب الى غرفة المكتب».

تبعته سيرينا وقلبها ينقبض ما هو هذا الأمر الهام الذي يريد داني ان يتحدث به معها. هي لم يسبق لها ورأته بهذا التجهم والجدية مذ وفاة والدتهما قبل سنوات. أقفل الباب خلفهما حالما أصبحا داخل الغرفة ثم التفت اليها قائلاً بصوت بارد يظهر الغضب المستعر داخله: «حين طلبت منك الحلول مكاني بتلك المقابلة المشؤومة مع غابريال سميث جن جنونك واتهمتني بكل الاتهامات لأنني طلبت المساعدة من عدونا اللدود ابن آل سميث. أخبرتك أنني لم أجد أحداً غيره لإنقاذي لكنك قلت انه لا يزال عدونا وأنه يتحين الفرص للنيل منا وأنه يجب ألا أنسى ولا للحظة أنه يخطط لايصالنا نحن آخر أفراد آل بلانش الى الأرض والى أسفل الدركات. قلت أنني يجب ألا أثق به مطلقاً وألا اعتبره تحت أي ظرف من الظروف موضوع ثقة، وأنه يصر على متابعة الثأر والعراك القديم. والآن... أنت تشاهدين علناً برفقته، تجلسين في الزوايا معه وأسوأ من ذلك!».

حان وقت سيرينا لتحمر: «لم أفعل شيئاً من هذا القبيل».

«اوه، لا؟ نسيت ان الأخبار تنتقل كالبرق في هذه البلدة وأن شيئاً لا يبقى مستتراً. أين بحق الجحيم قد قضيت

الليلة الماضية؟».

لا فائدة من الكذب او التمويه. على كل حال ألم يكن الوقت قد حان حتى يعرف داني ما أوصلها اليه عدم اكتراثه وحماقته؟ سألت سيرينا نفسها ويديها تتجمعان بقبضتين على جانبها.

رفعت ذقنها: «لقد نمت مع غابريال» قالت بجرأة.

مرت لحظة صمت طويلة مزعجة ثم انفجر. تيار من الكلمات الغاضبة اندفعت من فمه بعنف، وقسوة وخبث: «ساقطة»، سمعت وهي تسد أذنيها: «عاهرة».

«داني» قاطعته وصوتها كالعاصفة: «بحق الله... لا تفعل...».

«انت تقولين هذا لي، أيتها الساقطة، فيما انت قد مرغت نفسك بالوحل... في حين انك قد جررت اسمنا الى الهاوية! ما الذي كنت تفكرين به. أم انك تبقين عقلك في جسدك هذه الأيام؟».

القسوة بكلماته جعلها ترتعش: «كنت افكر بك» وجهها كان أبيضاً كالموتى: «انت أردت مساعدتي... أردت ان نبقيه على مسافة منك... بعيداً عن ظهرك حتى تحاول! إصلاح الأمور».

«لكن ليس بهذه الطريقة» انتحب: «ليس هكذا. لم أقصد ان تقدمي نفسك له كالساقطات».

«هل خطر ببالك أبداً ان هذه بالضبط هي طلباته وشروطه؟» صرخت به: «لكنا شيء ثمن داني. بهذه الحالة. كان الثمن أنا».

«لكن ما كان عليك دفعه. بحق السماء! قبل أيام فقط، كنت عدوته اللدودة. بالطبع كان بإمكانك ايجاد بعض الأعذار... ان تبعديه بدلاً من ان ترتمي بين ذراعيه كالمومسات...».

«لم يكن الأمر كذلك».

«لا أريد ان أسمع عن هذا» جلس بتثاقل مغطياً وجهه بيديه: «هذا مستحيل» صوته كان كالنحيب: «انت، من آل بلانش تتقلبين في الفراش مع غابريال سميث» ضحك ضحكة قاسية: «ويقولون ان التاريخ لا يعيد نفسه!».

«ماذا تقصد؟» حدقت سيرينا به دافعة شعرها بعيداً عن وجهها.

«لقد سمحت لغابريال سميث بالحصول على الانتقام الكامل» هز داني رأسه بتعجب: «لو لم يكن كل الأمر مثيراً للإشمئزاز لكدت ان أعجب باللعين».

«أنا لا أفهم» قالت وقلبها ينتفض.

«الأمر بغاية البساطة» صوته بدا ميتاً: «جده المدعو بإسمه، غابريال، اذا تذكرين، حاول إغتصاب جدتنا، سيرينا بلانش الأولى. تدبرت مقاومته والهروب منه. لكن هذا كان السبب في طرده من الكوخ ومن عمله».

«اغتصاب؟» رددت سيرينا بذهول: «لكني لم أسمع أي ذكر لهذا...».

«بالطبع لا. ما كنت لتعتقدين ان جدي سينشر مثل هذه القصة...؟ كان هناك العديد من الشروحات لطرد آل سميث. غابريال الأول كان مثيراً للشغب والمشاكل.

www.elromancia.com

وهكذا فإيجاد مبرر لطرده لم يكن أمراً صعباً». نظر اليها: «وهكذا، يا شقيقتي العزيزة، كانت بداية العراك بين العائلتين. ليس بدافع التجارة والمال. أو الاتجاهات السياسية أو حتى الطموح، لكن بدافع المغتصب العدواني الذي لم يستطع إبعاد يديه عن جدتنا».

شخر: «اذا كان غابريال الأول يتمتع بذرة من الشرف، لكان قد غادر المنطقة بأكملها وأراحنا منه الى الأبد. لكنه بالتأكيد بقي هنا مدعياً أنه من تعرض للظلم. كل يوم كان يمر وهو هنا كان بمثابة إهانة لجدتنا، وتهديد كذلك. وبعد فترة قصيرة حدث لها ذلك الاجهاض الذي قتلها - لربما السبب في ذلك كان التوتر الذي كانت تعاني منه».

ابتلعت سيرينا ريقها بصعوبة: «كيف... كيف تعرف كل هذا؟» عقلها اعتصر بعيداً عن بشاعة هذه القصة وحتى التلميحات الأكثر خبثاً التي كانت موجهة اليها.

«لقد اكتشفت ذلك حين كنت انت في استراليا» أخبرها: «كان الأمر حين بدأ والدي للمرة الأولى بالغرق بالماضي والتحدث عنه. تحدث عن سيرينا في احدى الليالي متحدثاً أكثر وأكثر حولها. الأحداث كلها كانت غير مترابطة أو متماسكة. لكني استنتجت أخيراً أنه كان يتحدث عن والدته. سألته بعض الأسئلة المباشرة وحصلت على القصة بأكملها منه أخيراً. كان هو طفل صغير حين ماتت والحادث المريع كله كان له أكبر الأثر كما يبدو عليه. جعلني هذا أشعر بالغثيان أنا بدوري أيضاً».

«أستطيع تخيل ذلك» قالت سيرينا وهي ترتعش: «لماذا

لم تخبرني بذلك من قبل؟».

«لم أجد ضرورة لذلك. يا الهي سيرينا لقد كرهت كل أفراد عائلة سميث أكثر حتى مني أنا! لم يخطر ببالي مطلقاً أنه سيعود الينا ويورطك معه بجرك الى فراشه، دون ذكر أنه قد نجح بذلك» تنهد: «بصراحة، ظننت أنه يريد هذا المنزل وليس انت. لقد أخطأت تماماً بتقدير نيته بالانتصار... أخطأت بتقدير الأبعاد التي كان مستعداً للوصول اليها».

كادت ان تسمع كلمات غابريال القائلة: «الدولاب قد دار دورته الكاملة».

شيء ما داخلها كان يموت بألم وأذى مرير.

«أنا... أنا لا أستطيع لومك على ذلك» قالت بتصلب: «أنا... أنا أخطأت بتقدير نواياه أيضاً».

تصلب فمها وهي تتذكر كلمات غابريال حول جدتها «الحب» و «الاحترام» قال وهو ينظر الى صورتها المعلقة على جداره. لا شك أنه كان يتهكم ويسخر بكلماته تلك، أم هل كان يختبرها؟ ليكتشف مدى معرفتها لتاريخ عائلتها؟.

فهمت الآن أيضاً لماذا لم يلمسها بتلك الليلة. لم يكن الدافع بسبب الاعتبار او الاحترام، فكرت والألم يعتصرها، الدافع مجرد عدم الاكتراث والاهتمام.

اللذة الوحيدة التي شعر بها كانت نجاحه بإتمام ما فشل جده السابق بتحقيقه. محوه للإذلال القديم بامتلاكه لسيرينا بلانش الحالية ورميه لها أمام العالم كله... كلعبته

www.elromancia.com

وعشيقته.

كان هذا شيئاً بعيداً جداً عن الرغبة، فكرت بحذر. كان شيئاً أعمق، أكثر اسوداداً وأكثر تخطيطاً وارتعشت مبتعدة عنه كأنها قد اقتربت من شفير هاوية عميقة عميقة وأطلت منها.

«كان يجب ان تقولي شيئاً ما، سيرينا» قال داني بصوت ميت: «أخبريني عن نوع الضغوط التي كان يمارسها عليك».

مدت يدها: «كنت قلقاً جداً... حول كارول... حول كل شيء. أنا... أنا اعتقدت ان بإمكاني التعامل معه». وأيضاً، فكرت لكن لم تقول، كنت خائفة من ردة فعلك... خائفة من ضعفك وغضبك وعنفك.

تساءلت لماذا لم تخبره عن كل هذا. وأن هدف غابريال كان نشر أنه عشيقها أمام الناس فقط دون ان يلمسها في الحقيقة فعلاً.

أراد ان يشعرها أنها تريده، لربما، بطريقة ملتوية، قد قصد ان تتوسله... ان تستجديه ليحبها ويلامسها ثم يرفضها وبهذا يكون قد وصل الى مضاعفة انتصاره.

الآن، لا تستطيع إخبار داني هذا. لأن باعترافها بذلك فسوف تظهر فشلها مجدداً كإمرأة... فشل بالكاد تغلبت عليه بفشل زواجها.

أخذت نفساً عميقاً متألماً. بالرغم من كل حساباته. فكرت، لم يعتقد غابريال سميث ان لديه القدرة على تدميرها كلياً. لقد وفر عليها ذلك على الأقل.

«من الآن وصاعداً ستبقين بعيدة عنه، أتسمعين؟» أمرها داني.

«سمعت» قالت بهدوء: «واذا تحرك نحوك مطالباً بماله... ماذا سيحدث حينها؟».

«تلك لم تعد مشكلتك» قال داني: «ما كان يجب ان أورطك بهذا من البداية. أنا... أنا ألوم نفسي لما حدث لك، سيرينا، الخطأ كله يقع علي».

«لا» قالت: «لا، يجب ان تقول هذا» وتابعت بسرها انت لم تجعلني أحبه. تلك كانت غلطتي المصيرية أنا ثم رفعت صوتها: «أنا كنت واثقة من نفسي وأردت ان أكون قوية و... وذكية» تنهدت بوهن: «أردت التغلب عليه بمفردي. لكننا لم نستطع ان نفعل ذلك... أي واحد منا ضد أي واحد منهم. كنا نخسر المزيد والمزيد مجدداً والآن نحن معرضون لخسارة كل شيء».

«سأقابله فوراً» قال داني بسرعة مريرة: شيء آخر... سأتأكد من ذلك».

«كيف؟ ماذا ستفعل؟».

حدق بالهواء عبرها: «مهما كان علي فعله» نهض على قدميه وربت على كتفيها: «لربما من الأفضل لك ألا تعرفي» ابتسامته كانت مجبرة: «الآن اخلدي الى السرير، ولا تقلقي حول أي شيء آخر».

وذلك، فكرت سيرينا بعد ساعات، وهي تراقب أول خطوط الفجر... كان الشيء المستحيل.

قضت سيرينا صباح اليوم التالي. نصف متوقعة، نصف

مرتعبة بأن يتصل غابريال بها ليخبرها حول موضوع الفيللا. أو أنه قد يحاول اقناعها بالموافقة على الفيللا الخاصة تلك فكرة غير معقولة الألم، فكرت.

لم يكن عندها أية فكرة عما ستقوله له. كل سيناريو كانت تحضره بعقلها كان يبدو جامداً وخاطئاً. لربما من الأفضل مواجهته بالحقيقة مباشرة، فكرت بتعاسة. تقول له مباشرة انها عرفت بالضبط لماذا كان يلاحقها، وأن هذا يجب ان يتوقف في الحال.

باستثناء ان الأمر قد لا يتوقف عند هذا الحد. اذا فشل غابريال معها. فلربما سيتجه نحو الأعمال والمصنع والمنزل. بعد كل شيء، لم يعد عندها أية شكوك حول مقدراته... ارتباطه بدوافعه المدمرة. لهذا لا بدون ايجادها وداني لطريقة يتفادون بها المتوقع حدوثه.

اقترحت على داني توكيلهم لمستشار أعمال ينصحهم بالمستقبل بالنسبة لمصنع النسيج، لكنه بدا غير مهتماً.

«مفترضة دوماً ان له مستقبلاً». كان تعليقه.

صكت سيرينا أسنانها: «أيجب ان أسأل بعض الاستفسارات أم لا؟» سألت بحذر.

«دعي الأمر» قال لها بجفاف: «لقد قلت لك... انها مشكلتي انا الآن. وسأفكر بحل ما».

ظلت سيرينا غير مقتنعة. داني لم يكن من نوع الرجال الذين يجدون حلاً سريعاً للمعضلات. لم يحاول حتى ان يخفي توتره واضطرابه، حتى أنه رد بحدة على كارول المتذمرة من وضعها ومن الطفل الذي لا يتوقف عن

لبكاء.

وكان من الواضح أنه لا يريد من سيرينا أيضاً ان يكون لها أية علاقة بمصنع النسيج أي اقتراح كانت تقدمه له حول العمل كان يرتطم بحائط صده. هو بإمكانه تدبير الأمور.

لكن أستطيع أنا ذلك أيضاً؟ سألت سيرينا نفسها. أنا بحاجة لشيء أسلي نفسي به. شيء يمنعني من الاستمرار بالتفكير طوال الوقت... يمنعني من انتظار الهاتف طوال الوقت.

لكن مكالمة غابريال لم تصل لا في هذا اليوم ولا في الأيام التي تلته. يبدو كأنه قد اقتنع بتركها وشأنها كما طلبت أو أنه قرر تركها معلقة بالصنارة لحين يقرر ما هي خطوته الثانية.

الطقس كان مشمساً ورائعاً وكانت سيرينا تقضي معظم وقتها في الحديقة آملة ان السمره التي تكتسبها ستغطي السواد حول عينيها ولخف وجنتيها الناتج عن بقاءها طوال الليل ساهرة.

خيال غابريال وهو يبتسم لها ماداً له يدها... ما كان يفارق ذهنها. لكم كانت حمقاء وغبية بغرقها في أحلام الحب والمستقبل الممكن حدوثه. فيما رغبته هي الأساسية فقط، إكمال الثأر والقيام بما لم يستطع جده القيام به. كل هذا الكره، فكرت بارتعاش. كل هذا الكره والحقد طوال السنين والذي سببه فقط رغبة وشهوة غير مكتملة.

أراد غابريال سميث الجد سيرينا بلانش الجدة لدرجة

www.elromancia.com

نسيانه لكل الشرف والأخلاق. مقتنصاً برغبته معاقباً عليها. تحول بغضب ضد زوجها. اذا لم يستطع الحصول على امرأته... فسيحصل على كل شيء بالمقابل. لا بد ان هذا كان منطقه وطريقة تفكيره.

هذا كان أمراً مقرفاً بحد ذاته. لكن الآن غابريال الحفيد يريد إضافة حلقة لسلسلة الانتقام تلك. يريد تقديمها هي نفسها. والمعرفة هزتها.

كيف لم تستطع ان تعرف انه فقط يستغلها... بأنه كان يتحرك ويتوجه بكل برودة وتصميم؟ لماذا استطاع خداعها بكل سهولة؟.

ارتعشت. لربما غابريال وأنا نستحق بعضنا البعض، فكرت بيأس.

النهارات كانت حملة متوترة ومقيتة كالليالي. كانت كارول لا تتوقف عن التذمر والطفل الصغير كأنه قد ورث عادة والدته مذ نعومة اظفاره كان لا يتوقف عن البكاء إلا حين يكون يتناول الحليب.

داني كان يغادر باكراً ولا يعود إلا في المساء، حاولت سيرينا ان تذهب معه احدى الأيام الى المصنع إلا أنه منعها بحدة قائلاً ان عليها عدم الاقتراب من ذلك المكان أبداً، هو يفكر بحل ويوشك على تنفيذه.

دخلت غرفة والدها عند الظهيرة ووجدت وجهه شديد الشحوب وكانت عيونه مغلقة كأنه يعاني سكرات الموت، هوى قلب سيرينا بسرعة واقتربت من والدها بلهفة كان لا يزال يتنفس لكنه كان يهلوس ويتمتم بأشياء غير مفهومة.

ألقت سيرينا نظرة هلع نحو الممرض ستنغ الذي أشار لها بالصمت وبالجلوس الى جانب سرير والدها. أطاعته سيرينا وأمسكت يد الوالد المعروقة بين يديها وأخذت الدموع الصامتة تنهمر على وجهها.

«ديانا... ديانا» همس الصوت الخافت لوالدها الذي كان ينادي اسم والدتها المتوفاة: «أنا قادم... أجل... أمي... أمي... لا تتركيني لا ترحلي... سامحي والدي لا تتركيني معه... لا ترحلي عنا...» وانقطع الصوت، وانقطع النفس وسكت القلب الذي ظل ينبض لخمس وستون سنة.

شهقة مخنوقة صدرت من سيرينا وارتمت بعدها على فراش والدها وهي تبكي وتنتحب.

«لا يجب ان تفعلي هذا سيرينا»، قال السيد ستنغ: «لقد رحل بسلام لملاقاة والدتك ووالدته، لقد عاش حياة طويلة آنسة بلانش وآن له ان يستريح».

الكلمات الواقعية جعلت سيرينا تجفف دموعها وحين أتى داني نقلت اليه الخبر الحزين. فتقبل داني الأمر بواقعية وجهزا سوياً جنازة لوالدهما حضر اليها كل المعارف والجيران وضمنهم كان يقف غابريال سميث. من بعيد. هي لم ترفع نظرها اليه مطلقاً لم تجرؤ على ذلك.

انتهت المراسيم وذهب كل الى منزله، عادت سيرينا وداني بدورهما الى المنزل.

«داني ماذا فعلت بشأن الديون؟».

«لا داعي لتشغلي رأسك بهذا سوف أتدبر الأمر لقد

www.elromancia.com

قلت لك هذا».

«هل انت واثق ان بإمكانك حل كل الأمور بمفردك؟».

«أجل ولا حاجة بك للسؤال مجدداً هيا اصعدي الى غرفتك وارتاحي الآن. يبدو وكأنك ستسقطين على الأرض من شدة الشحوب والإرهاق».

صعدت سيرينا الى غرفتها لكن أين الراحة. وأين هي انهما حالياً اثنان لا يلتقيان كالخطوط المتوازية تماماً. استحمت ثم ارتدت ثيابها وحاولت النوم لكن عبثاً الكثير من الصور كانت تدور برأسها وتمنعها من النوم.

قضت سيرينا الأسبوع التالي وهي تحاول إغراق نفسها بالعمل حتى تنسى كل المشاكل والهموم ولم تعد حتى تسأل داني مما يفعله. ستثق به لهذه المرة ولا شك أنه سينجح بالقيام بعمل ناجح ما الآن. كانت تسير بسيارتها قرب فيللا العجوز ايفان ترامب ورأت عليها لافتة «مباعة». اذن فقد اشتراها أخيراً زوجين محبين ليقضيا بها سنوات حياتهما الأجمل.

شعرت بغصة داخل قلبها وتسارعت الدموع الى عيونها. إلا أنها تابعت طريقها الى الشركة الجديدة التي نجحت بالتوظف بها كمهندسة ديكور داخلي بدوام كامل. كان لها مكتبها الخاص وكان المعاش جيداً بشكل عام فهي كل همها كان ان تجد شيئاً يشغلها ويملأ فراغ أيامها الى ان تفكر بتخطيط جديد لحياتها. قد تجمع أغراضها لاحقاً وتغادر هذه البلدة لربما كان عليها فعل هذا منذ لحظة وصولها من استراليا لكنها ستنتظر قليلاً بعد حتى تطمئن

تماماً على شقيقها داني ثم ترحل بعد ذلك حاملة جراحها الى مكان بعيد. اذا كان غابريال سميث هو من عشقه قلبها وأحبته روحها وجسدها فمكتوب عليها البقاء وحيدة طوال حياتها لأن ارتباطها به بأي شكلٍ من الأشكال هو ضرب من المستحيلات. والمعجزات نادراً ما تحدث في هذه الأيام.

كانت في مكتبها تتابع مشروع هندسي جديد أحد الأيام حين طرق الباب وكان الداخل ساكن خيالها نفسه.

شهقت من المفاجأة فقد مضى عليها حوالي الأسبوعين لم تراه أو تسمع منه مذ جنازة والدها وحتى الآن.

تصلبت ووجدت نفسها عاجزة عن الكلام للحظات دخل هو اليها وأغلق الباب خلفه.

«لقد فتشت عن داني في كل مكان ولم أجده لقد ترك رسالة تشبه إعلان الحرب على آلتي الهاتفية وحين لم أجده قدمت الى هنا لأسمع الشرح».

«لم تجده لأنه يقوم بصفقة تجارية ستبعدك عن حياتنا الى الأبد» قالت بصوت هادىء قدر المستطاع.

«حقاً؟» قال بشبه تهكم: «أتساءل ما الذي جلب فورة الدم المفاجئة هذه الى رأسه؟».

ابتلعت سيرينا ريقها: «هو يعرف كل شيء... حولنا. لقد أخبرته. وبالمقابل شرح هو لي بعض الأشياء الأخرى».

قطب غابريال: «ماذا تقصدين؟».

«أقصد أنني أعرف القصة المشينة من البداية حتى النهاية. أعرف حول جدتي ولماذا بالضبط تم طرد جدك»

توقفت: «برأيي، لقد سعى هو الى ذلك بقدميه، وكان يستحق الأسوأ من ذلك».

«تتكلمين كبلانش حقيقية» قال غابريال بتهكم.

«أنا من عائلة بلانش، وأنا فخورة بذلك» ردت بحدة.

«مع أنك تدعين أنك قد سمعت كل القصة؟» هز كتفيه.

«اسمك انت ما يجب ان تشعر بالعار منه» قالت بحدة: «ودوافعك المقرفة المشينة. أعتقد انك فكرت أنه سيكون من الممتع محاولة تقليد ما قام به جدك... تصرفه المشين اللا أخلاقي. حسن، لقد انتهت المزحة».

«ليس تقليداً يا عزيزتي» قال بلطف: «التعدي على الحقوق. ما آخذه، أحتفظ به» مسحتها عينيه من رأسها حتى أخمص قدميها. وكانت تشعر أنه حيثما تقع عيناه كان جسدها يلتهب يتفتح، حاجة مفاجئة تحركت بألم داخلها وجفت حنجرتها.

قالت بتثاقل: «انت لن تمتلكني. ليس الآن ولا لاحقاً».

«إلا اذا أردت أنا ذلك».

«لقد انتهى كل شيء. لن... تستطيع التلاعب بي بعد الآن. داني لن يسمح بذلك».

«يا لإيمانك المؤثر بشقيقك التعيس ذاك» تقلصت عينا غابريال: «اذن... ما هي هذه الصفقة التي يدبرها؟ سرقة قطار كبرى أخرى؟».

«ذلك هو شأننا» تساءلت سيرينا من أين كانت تجد

القوة... الجرأة: «لكن حين تنتهي فستحصل على مالك كله» آوه، يا الهي أرجو ألا أكون مخطأة: «وبعد ذلك. تستطيع البقاء بعيداً عن حياتي».

«واذا فشلت تلك الصفقة؟».

«ستظل بعيداً عن حياتي» تسارع نبضها بألم: «ما فعلته ما حاولت فعله لا يغتفر».

مرت فترة صمت. ثم: «وتبدين وكأنك تعنين ذلك فعلاً» علق غابريال أخيراً: «مما... يسهل الأمور على ما أعتقد».

وضع يده بجيبه وتناول رزمة من الأوراق ورماها أمامها على الطاولة: «هذه هي أوراق ديون داني لي. جميعها هنا، وتستطيعين مراجعة الأمر معه اذا كنت في شك من ذلك».

«انت تعيدهم؟» حدقت به محاولة الفهم دون نجاح آل سميث يحاربون. هم لا يسلمون أسحلتهم ويبتعدون ببساطة. «لماذا؟».

«لأستعمل نفس عبارتك الكلاسيكية، يا حلوتي... لقد انتهت النكتة». رماها بابتسامة خفيفة لم تصل الى عينيها: «لقد انتهى كل شيء. فينيتو».

أخذت نفساً مرتعشاً: «أنا... أنا لا أصدقك».

هز غابريال كتفيه مجدداً: «ذلك هو امتيازك. لكن ما أقوله هو الحقيقة. كما تصورت لقد استمتعت لفترة لأرى لأي مدى كنت مستعدة لتحمي داني الغير مستحق، هو حقاً لا يستحق إخلاصك وتضحيتك».

www.elromancia.com

«برايك».

«برأي كل الأشخاص الصحيحي العقل» علق بغموض: «أتعتقدين أنني كنت سأسمح لأي شخص بمعاملة شقيقتي... بإيقاعها بشباكه... كما فعلت بك وأتابع حياتي كالعادة؟» هز رأسه: «كنت بانتظاره للمجيء الي... لمواجهتي... ليحاول تحطيم رقبتي. لكن داني الشاب قد طابق كل توقعاتي حوله».

فمه القاسي تصلب: «هذا لم يكن كل شيء بالتأكيد. أردت إختبار سيرينا. لأرى لأي مدى تأصل ذلك الكبرياء البلانشي اللعين فيك. لأي مدى ستصلين للتشبث بالقليل الذي تملكين، ولتحمي مهزلة... ومسخرة حياتك».

رماها بنظرة طويلة: «حسناً، لقد انتهى الاختبار، والآن وقد عرفت الجواب فلم يعد لدي أي اهتمام أو اكتراث بك» ضحك بقسوة: «لكن من الممتع الاكتشاف أنه حتى داني الدودة عنده تقلبات نقاط تحول».

شعرت كأنها كانت تموت من الداخل لكنها تماسكت: «لا... لا تجرؤ على التحدث عن داني بهذا الشكل! لا يحق لك ذلك...».

«ليس هذا إلا الحقيقة. يحق لكل شخص قول الحقيقة» قال: «جدك كان أكبر عقلية عنيدة في بفرلي نايتس، لكن، كمعظم أمثاله، هو مجرد جبان حين يتطلب الموقف الشجاعة. هو لم يقاتل جدي مطلقاً، رجلاً لرجل. فضل أهدافاً ألين. والدك ورث نقاط ضعفه، لكن بدون وراثة الصلابة. كان شخصاً خفيفاً تافهاً بذلك

المصنع، بقليل أو بدون عقل للعمل، وداني مثله تماماً».

«والدي رجل متوفي».

«أعرف ذلك، وأنا آسف لذلك. لكن هذا لا يغير بالأمر شيئاً. لقد ترعرع على فكرة ان والدي وأنا قد غشيناه وخدعناه... أجبرناه على الخروج من العمل». هز رأسه: «ليس الأمر كذلك، سيرينا. كل شيء خسره، قدمه لنا بملء إرادته، مع أنني لن أنكر أننا قبلنا ذلك بإمتنان» توقف: «آمل ان يستطيع داني التوصل لصفقة ترفع مصنعه ولو مؤقتاً عن شفير الافلاس، لكني لست مقتنعاً. وحتى لو استطاع اعادة مالي لي، سأكون واقفاً خلف أكتافه أنتظر. لا تدعيه أبداً ينسى ذلك».

«هو لن ينسى أبداً» كانت السكين تمزق أحشاءها وكان من الصعب عليها النطق: «ولا أنا سأنسى».

ابتسم لها بحزن: «أنا واثق ان الدرس كان وداعياً. بطريقة ما، سيرينا، سأكون آسفاً انك انت التي ابتعدت. لقد استمتعت برؤيتك وأنت تأخذين الطعم... تتخبطين بالصنارة. عندك جسد جميل جداً تحت ثياب السيدة الرزينة التي ترتدين. كنت آمل لو أستمتع بذلك... وأعلمك الاستمتاع بذلك بدورك».

«مجرد التفكير بذلك» قالت بثبات: «يجعلني راغبة بالتقيؤ. هلا ذهبت من فضلك؟ اخرج من هنا. اتركني وشاني».

«للآن اجل، أخبري داني أنني كنت أبحث عنه» نهض عن كرسيه بخفة واتجه نحو الباب: «فكرة وداعية». ة "

برقة ووصل اليها، آخذاً اياها بين ذراعيه بحركة مفاجئة مذهلة.

فمه كان قاسياً على شفاهها طالباً بدون رحمة استسلام، شيء لم يكن باستطاعة سيرينا نكرانه إياه. ملابسها لم تكن حواجزاً مقابل يديه المتحركتين على كل جسدها.

لم يكن رقيقاً، لكن بالرغم من ذلك... أو لربما لهذا السبب؟ بدا جسدها كله صارخاً بحرقة ولهفة للتجاوب معه. لقد ادعت أنها لا تريده. لقد صرح علناً أنه لا يريدها. لكن... لكن...

بعيداً عن الماضي، عن المستقبل، قد يكون هذا كل ما سيتبقى لها لتتذكره. ستجعل الذكرى تستحق ذلك.

يداها الصغيرتان كانتا حارتين وهما تكتشفان بدورهما بتطلب. التصقت به بتأوه متعامية، متناسية كل شيء سوى بركان حاجتها ورغبتها به. فصرخت بحدة من وصوت خافت من المتعة والألم.

تجمد. وكأن صوتها قد أعاده عن شفير هاوية ما. ذكره، بطريقة ما، وبالضبط عمن، عن أين وعن مكان تواجدهما.

وجدته سيرينا يفلتها بنفس الفجائية التي أمسكها بها. انهارت على الكرسي القريب محدقة به. وشفتيها مشقوقتين بصمت تنطقان باسمه. وجهه كان كالصلب محتقن بشدة وهو يحدق بها.

ثم ارتفعت يداه ببطء أمامه. كأنه كان يدافع عن نفسه مبعداً شيطان ما أتى لامتلاكه. تراجع مبتعداً عنها وعيناه لا

تتركان وجهها.

قال بقسوة: «اوه، لا، سيرينا. اوه، يا الهي، لا!».

ثلاث خطوات متراجعة سريعة أوصلته الى الباب. انحنت على المكتب غارزة أظافرها به مصممة على عدم الانخراط بالبكاء بالصريخ بمناداته للعودة. سمعت صوت الباب يصفق. سمعت صوت خطواته المبتعدة في الممر. استمعت لصوت محرك سيارته يدور ثم يبتعد وأدركت حينها أنه قد رحل وأنها أصبحت بمفردها.

«لقد انتهى كل شيء» همست: «انتهى كل شيء».

صوتها بدا كأنه يأتي من مكان بعيد بعيد. فقط ضغط أصابعها على المكتب كانت صلتها الوحيدة بالواقع. لأن الواقع يؤلم. الواقع يقتل. الندبات العلامات المحفورة عميقاً داخلها لن تنسى لن تنتهي وستكون لها وحدها. ما أعطاها إياه غابريال سميث غادرت مكتبها وظلت تسير وتسير بالشوارع دون هدف وحين هدأ قليلاً البركان داخلها عادت الى المكتب واستقلت سيارتها ثم عادت الى المنزل.

لم تستطع التفكير بشيء سوى بتلك المواجهة القصيرة الغريبة والنهائية بينها وبين غابريال. مرات ومرات أخبرت نفسها ان إنصراف غابريال عنها كان ما تتوقعه وأن عليها الشعور بالامتنان والشكر أنه قد أنهى النكتة قبل ايصال علاقتهما الى درجة الحميمية الكاملة. لقد وفر عليها ذلك الإذلال على الأقل. هذا أفضل! قالت بسرها.

هي لن تتمكن مطلقاً من نسيان المشاعر اللاهبة التي

www.elromancia.com

كان يثيرها بها بمجرد ملامسته لها ما يثير شعورها بالعار ان غابريال نفسه وليس هي من ابتعد رافضاً ما تقدمه له. لو أراد امتلاكها لما وجد عندها أية مقاومة بل لتجاوبت مع رغبته هذه بحاجتها ورغبتها الملتهبة به لا شك أنه بدوره قد أدرك ذلك أيضاً. هذا شيء عليها التعلم على العيش معه. الشيء المريح الوحيد بكل هذه المعاناة أنه هو نفسه لم يكن منيعاً فقد شعرت للحظة برغبته الخالصة بها والتي تضاهي مدى رغبتها به.

دخلت غرفة والدها فور عودتها وأخذت تنظر الى كل شيء حولها وتذكرت فجأة وهي تتصفح ألبوم الصور كلمات والدها الغامضة وهو على فراش الموت. كان يتحدث عن والدته عن رحيلها مع شخص ما عن تركها لابنها هناك حلقة مفرغة بقصة جدتها هذه، هناك شيء خاطىء ومفقود، شيء عليها معرفته هنا والآن.

إستدعت المربية وسألتها بصرامة: «ليلى لقد مضى على وجودك بهذا المنزل خمسون عاماً وأنت تعرفين كل صغيرة وكبيرة حدثت هنا أليس كذلك».

«لماذا تريدين ان تثيري الماضي سيرينا؟ اتركي كل شيء كما هو».

«لا ليلى أريد منك ايضاحاً وأريده الآن لقد تفوه والدي بكلمات غريبة وهو على فراش الموت لقد تحدث عن والدته عن رحيلها».

«هو كان دائماً يخلط الأشياء والأشخاص سيرينا» ردت المربية بحزن.

«بدا منطقياً جداً بحديثه» قالت سيرينا: «ما تفوه به كان شيئاً يتذكره من طفولته. شيء مريع مهول، انت تعرفين كل شيء عن هذا الأمر».

«اتركي الماضي لحاله سيرينا، لا فائدة من نثر الرماد...».

«أنا ساكون الحكم بذلك» توقفت سيرينا جامعة أفكارها: «قال داني لي ان غابريال سميث الجد حاول اغتصاب جدتي، لكن ذلك ليس صحيحاً، أليس كذلك؟ كانت مغرمة به. كانت تخطط للهروب معه حين اكتشف جدي ذلك. جعلها تبقى، ولهذا تحولت كلياً في الصور».

«الصور؟» هزت ليلى رأسها: «لن تجدي صور لها بهذا المنزل، آنسة سيرينا. لقد جمع كل صورها وأحرقها بعد ان... بعد ان... ألم تفكري مطلقاً من قبل بالصور الناقصة بهذا الألبوم؟».

«حسناً... بلى» ردت سيرينا: «اذن من هي المرأة الواقفة بجانب جدي في كل تلك الصور؟».

«انها ابنة عم جدك. اليزابيت. لقد استدعوها. انت للإهتمام بالمنزل له... بعد ذلك. تزوجت من أحد الفلاحين ورحلت معه. قائلة أنه حتى ولو كان عليها العيش مع آكلي لحوم البشر فذلك سيكون أسهل من البقاء مع جدك».

ابتلعت سيرينا ريقها: «أكان هو بذلك السوء؟».

«كان رجلاً قاسياً، سيرينا، وبارد كالشتاء. لم يكن بحاجة لزوجة من البشر، كان متزوجاً من مصنعه اللعين

ذاك. العمل كان كل ما يفكر به، والحصول على المزيد من المال، وهي...» رقت ملامح ليلى فجأة وبحزن: «آه، لكنها كانت رائعة، ولم يقل أي أحد كلمة أخرى عنها. كان عندها كل الدفء وكل السعادة التي كان يفتقدها. العيش معها كان من الممكن ان يلينه، لكن ذلك لم ينجح. كان يتركها لوحدها أغلب الأحيان، خاصة بعد ولادة أبيك. ما كان أمامها ان تفعل أي شيء سوى التجول بهذا المنزل، ولم يكن هذا كافياً ولهذا فقد تشاغلت بالأعمال الخيرية».

«وقابلت غابريال سميث؟».

«لقد قلت ما يكفي» تصلبت شفاه ليلى: «ليس أنا من يحكم عليها. على كل حال. كنت أفضلها وأحبها جداً. لقد بقيت هنا فقط لأعتني بها وبوالدك لأنها توسلتني أن أفعل. لم تريده ان يشحن الصبي ضدها بعد موتها. لكن جدك إختار غابريال سميث ليسمم عقل والدك به، مكرراً نفس الأكاذيب القديمة مرة تلو مرة جاعلاً والدك يصدقهم. لربما هو من صدقها فعلاً بمرور الوقت. بدا لي أنه رجل يحب الكره... أي جدك. لكن الكره يدمر في النهاية وهو لم يفهم ذلك مطلقاً».

«يا الهي» قالت سيرينا باهتزاز: «لماذا جعلتموني أكبر وأنا أعتقد...؟ لماذا لم تخبرينا بالحقيقة؟».

«لأن هذا لم يكن من حقي» قالت ليلى بصرامة: «ما كنت لأتكلم الآن، لولا ان تكلم والدك بذلك. لا شك ان كل هذا كان محفوراً بخلفية عقله منذ طفولته».

«أعتقد ذلك» ردت سيرينا بصوت متجمد: «هناك شيء واحد أريد ان أسالك اياه» توقفت وأخذت نفساً عميقاً: «جدتي... هل ماتت لأسباب طبيعية؟».

بدت الصدمة على وجه ليلى: «آه، أجل سيرينا كان موتها طبيعياً جداً فقط واحدة من تلك الحالات التي لا يستطيع الأطباء شرحها. لقد فقدت الطفل، وبدا كأنها... قد انزوت» هزت رأسها مجدداً ووجهها آسف: «لا، جدك لم يكن رجلاً عنيفاً... ليس بتلك الطريقة. لا يجب ان تفكري مجرد التفكير بذلك، لكن لم يكن به أي رقة، أي تسامح ولربما عرفت هي نوع الحياة التي ستحياها منذ ذلك الحين وطوال حياتها لقد جعلها تعيش بالجحيم على الأرض سيرينا. الجحيم على الأرض. ولهذا فلربما هي لم تقاتل كثيراً في النهاية».

«كان يجب ان تطلعينا على هذا» دقت سيرينا قبضتها على الطاولة: «ما كان يجب ان أترعرع أنا وداني ونحن معتقدين بكل تلك الأكاذيب... بالإضافة الى كل ذلك الكره وسوء الفهم».

«حسناً، الأمر بين يديك الآن، سيرينا، لربما أصبح بمقدورك شفاء الجرح، اذا أردت» رمتها ليلى بنظرة عميقة: «الجميع يقول ان هناك علاقة ما بينك وبين شخص خاص...».

ابتسمت سيرينا بحزن وقالت: «لا يجب ان تصدقي كل ما تسمعينه. أخشى أنه لن يتم شفاء الجرح أي جرح لقد فات الأوان على ذلك».

www.elromancia.com

فات الأوان جداً، فكرت، وهي تعود ببطء الى وحدة غرفتها. فات الأوان كثيراً جداً.

الليل كان كالعادة مثقلاً بالأشكال والهموم والصور السوداء فاستيقظت صباحاً بمعنويات منخفضة. غسلت وجهها ونزلت الى الطابق السفلي.

وجدت داني يجلس على الشرفة فسارع للنهوض حين رآها وقال: «سيرينا كنت بانتظارك».

أحست بالاضطراب للأخبار التي كانت على وجهه: «خير داني ماذا هناك؟».

«لقد انتهيت من كل شيء. لقد صفيت كل شيء بعت المصنع وعرضت المنزل للبيع سننتهي من كل الديون ونرحل بعيداً عن هنا سنعيش بعيداً عن هذا المكان اللعين و...».

اتكأت على الكرسي القريب لتحمي نفسها من السقوط. يا لهول ما كان داني يتفوه به أهذا هو الحل الذي وعدها به. بئساً له من حل! انه ليس حلاً بل حريقاً كارثة.

«داني... داني ماذا فعلت؟ لقد انتزعت جذورنا لقد قضيت على كل تراث آل بلانش لقد سلمت كل ما نملك لقد قدمت لغابريال سميث كل شيء على طبق من الذهب لقد خسرنا ولم نربح كيف استطعت التخلي عن كل ذكرياتك عن كل طفولتنا عن كل تاريخنا كيف... أخذت الدموع تنهمر من عيونها بلا وعي.

«وماذا أردتني ان أفعل ان أتمسك بتاريخنا وجبل الافلاس والمشنقة يحوم حول رقبتي ماذا أردتني ان أقف

مكتوف الأيدي وأترك المرابين ينهشون لحمي حياً. بهذه الطريقة سأسدد ديوني وسأغادر هذا المكان اللعين وسأبدأ من جديد...».

«وعائلتنا ووالدي وأنا ألم تفكر بأي من هؤلاء ألم تفكر سوى بنفسك انت هكذا وستظل هكذا طوال حياتك داني، ستظل هكذا طوال حياتك» صاحت وغادرت المنزل والدموع تنهمر من عيونها.

ظل صوت داني المنادي يضج بأذنيها: «عودي أيتها البلهاء عودي الى هنا ودعيني أوضح لك...».

استقلت سيارتها وهامت بها والدموع تتراكض على وجهها هذا هو آخر المطاف حتى الذكريات لم تعد من حقهم لم يعد بإمكانها الاحتفاظ بشيء من تاريخها القديم أي شيء يربطها بهذه الأرض وهذا المكان.

سمعت صوت بوق سيارة يزعق لحظات وسمعت صوت اصطدام وتحول كل شيء الى لون أسود.

فتحت سيرينا عيونها بتثاقل وبدت رؤيتها مشوشة أحست بيد ما تمسك بيدها وتشد على أصابعها لحظات طويلة مرت قبل ان تركز نظرها وتلاحظ ان كل شيء حولها كان أبيض اللون أدارت وجهها جيداً حولها وعلى جانبها الأيسر رأت وجه من يمسك بيدها. أهي تتخيل أم ان ما تراه حقيقة. انه هو وجه غابريال وعلى ملامحه آثار القلق والتعب والتوتر.

فتحت شفاهها الجافة وقالت: «غابريال أهذا أنت؟».

سارع للاقتراب منها أكثر وقال: «أجل هذا أنا سيرينا،

www.elromancia.com

هل انت بخير؟».

«آه، أجل أشعر بصداع كبير! غابريال ما الذي حدث؟».

لاحظت بتفكيرها الذي لا يزال مشوشاً ان هذه هي المرة الأولى التي تنطق بها باسمه أحرفه كانت رقيقة على فمها وشعرت بسعادة كبرى لأنه بجانبها.

«لقد تعرضت لحادث اصطدام وأنت هنا في غيبوبة منذ البارحة صباحاً».

«واين... أين الجميع؟».

«انهم في الخارج سأستدعيهم فوراً».

أمسكت بيده بدورها وقالت: «لا، لا، إبق هنا قليلاً بعد، لا... لا أريد أن أبقى بمفردي».

لمعت عيونه للحظة وفتح فمه ليقول شيئاً ما إلا أنه عاد فصمت وجلس مكانه.

«هل... هل عرفت ان داني... قد... قد باع كل شيء وأنه سيغادر البلدة نهائياً؟؟» سألت بحزن ومرارة.

«أجل لقد أخبرني بنفسه بهذا وأطلعته بدوري على تنازلي عن الديون التي لي بذمته لقد بدأنا أنا وهو بداية جديدة ونسينا كل آلام الماضي ونزاعاته».

«و... هل...» كانت على وشك ان تقول هل ستفعل المثل معي؟ حين فتح الباب ودخل داني وكارول.

«لقد استيقظت الحمد لله سيرينا لقد خفت عليك كثيراً خاصة أنك خرجت من المنزل بتهور بسببي أنا».

سارع داني ليحضن رأسها: «لقد خفت عليك كثيراً

سيرينا ما كنت لأسامح نفسي لو حصل لك شيء».

«يقول الطبيب أنك ستتمكنين من مغادرة المستشفى بعد غد سيرينا فالإصابة والحمد لله بسيطة وسطحية».

«سأستأذن أنا الآن لأنني مرتبط ببعض الأعمال» قال غابريال وهو يتجه نحو الباب.

نظرت سيرينا اليه بتوسل وقالت: «ألن... ألن تأتي لزيارتي مرة ثانية؟».

نظر اليها مطولاً قبل ان يقول: «سآتي بعد غد قبل موعد خروجك».

غادر وشعرت سيرينا بالخواء والفراغ رغم ان داني وكارول ظلا يثرثران ويتحدثان معها بحب ومرح.

«سأعطيك حصتك بالكامل سيرينا» سمعت داني الآن يقول: «وبالمبلغ المتبقي لي بعد سد ديوني سأتمكن وكارول من بدء مشروع جديد في كندا حيث سنستقر. سأفتتح شركة استثمارية عقارية وسنشتري شقة صغيرة في أتاوا حيث يقطن عم كارول».

«أجل الحياة هناك جميلة ومريحة جداً وستتمكن من تربية فالدي الصغير بسعادة وهناء».

«أتمنى لكما كل التوفيق من كل قلبي داني وكارول ولتكن هذه البداية الجديدة بداية خير وفرح لكما على الدوام».

أمسك داني بيد كارول بحب وقبلت هي خده وابتسما وعرفت سيرينا ان ليس عليها القلق على داني بعد الآن، لربما كان من الأفضل ان يحدث هذا منذ البداية. فداني

www.elromancia.com

ناجح جداً بمجال الاستثمار وسيبرع بعمل خاص وصغير به.

«وأنت سيرينا ماذا ستفعلين بمبلغ المال خاصتك وأين ستستقرين» سألتها كارول.

ابتسمت سيرينا بدون مرح. حياتها بدون غابريال ستكون سوداء وبيضاء أينما كان المكان الذي ستستقر به لقد عرفت الحب الحقيقي لمرة واحدة في حياتها وذكرى هذا الحب هو كل ما سيتبقى لها. الذكرى فقط. فكرت بتعاسة إلا انها أجابت على سؤال كارول قائلة: «سأفكر بأمر ما لاحقاً فأنا كنت أفكر بترك البلدة منذ فترة قد... قد أعود الى استراليا فقد كونت هناك العديد من الأصدقاء والأصحاب. لا أعرف حالياً».

«وجدت سيرينا نفسها تنتظر وصول يوم بعد غد بكل لهفة وتشوق. لحظات سعادتها كانت تنحصر فقط بالوقت الذي تقضيه مع غابريال سميث. عليها الاستفادة الآن من كل لحظة تقضيها معه لأن مستقبلها لا يزال غامضاً وعليها استغلال كل لحظة يقدمها لها القدر. لقد اختار هو كما يبدو حياته بعيداً عنها لقد لاحظت تباعده عنها رغم القلق والتوتر الذي كان يلون وجهه حين فتحت عينيها ورأته. كان يقصد كل كلمة قالها لها ومقابلتها هذه معه قد تكون الوداع. الوداع الأخير.

وصل غابريال قبل موعد مغادرتها للمستشفى بساعة تقريباً ورحبت به وعيونها تبرق بسعادة.

«يبدو أنك قد تحسنت تماماً اليوم» علق غابريال بمرح.

«الفضل يعود للعناية الطبية الممتازة هنا» قالت بتلعثم.

«لقد اعتقدت شيئاً آخر» قال بأسف فشعرت بالغصة داخل قلبها. ماذا يقصد بهذه الجملة؟.

«اذن ماذا تنوين ان تفعلي الآن؟» سألها وتمنت ان يكون شكها بأنها لمست بعض التلهف بسؤاله حقيقة. فقالت بعدم اكتراث: «لا أعرف بعد، لم أقرر قد أعود الى استراليا أو أبقى هنا لا أعرف».

فقط لو أنك تلمح لي ولو بإشارة بسيطة انك تريدني هنا لكنت تركت العالم وبقيت بقربك. فقط لو تشعر بذلك كان لسان حالها يقول وهي ترمقه بطرف عينيها.

«وأنت ماذا ستفعل؟» سألته وقلبها على لسانها.

«لقد إشتريت منزلاً جديداً سأنتقل للعيش به بعد أيام قليلة».

«... غابريال أريد ان أبوح لك بشيء».

«ما هو؟» سألها فوراً.

«انه بخصوص جدتي وجدك...».

«أجل» حثها.

«لقد عرفت الحقيقة بنفسي. أردت اطلاعك على ذلك. عرفت انهما قد أحبا بعضهما البعض فعلاً. انها بقيت فقط مع جدي من أجل والدي. ومن أجل الطفل؟» أضافت باستفسار.

«الطفل؟» ارتفعا حاجبا غابريال: «اذن انت لا تعرفين كامل القصة سيرينا».

عضت شفتها: «أنا... تساءلت. شيء ما قاله والدي»

www.elromancia.com

ترددت: «أتقول لي أنها كانت تحمل طفل غابريال جدك وليس طفل جدي؟».

«بالطبع» أصبح وجهه متصلباً فجأة: «لا تحكمي عليهم بقسوة سيرينا. جدي كان أرملاً وحيداً. جداك لم يتشاركا غرفة النوم، ولم يتشاركا حياتهما منذ ولادة والدك. حالما حصل جدك على ابنه ووريثه. اعتقد ان أي امرأة شريفة ستكتفي بهذا فقط. كان لديه نساء في القرية يستعملهن حين يشعر برغبته بذلك».

تنهد بقسوة: «أعتقد ان كونها محط حب... محط رغبة أحدهم كان أمراً منجداً لها. اعتقدت، بسذاجة، أنه طالما جدك لم يعد يرغب بها أو يريدها فهو سيتركها ترحل حالما يعرف الحقيقة. لكنها أخطأت بهذا. حين أخبرته أنها قد وقعت بحب أحد موظفيه وأنها تنتظر ابناً منه، أصيب بالجنون. لكنه لم يكن يحاول الحفاظ على زواجه، بل على أهميته اللعينة بالنسبة لنفسه. وهكذا فقد استعمل السلاح الوحيد الذي يملكه. أخبر سيرينا أنها اذا تركته، فهو لن يسمح لها برؤية ابنها مطلقاً وأنه سيجعل ابنها يعاني من جراء رحيل أمه».

ارتعشت سيرينا: «ذلك... المتوحش!».

«أجل» وافقها غابريال: «ولا أي امرأة تستطيع التماشي مع هذا النوع من الابتزاز. لتحمي والدك، إستسلمت. رأت جدي مرة واحدة بعد ذلك... لتشرح له وتودعه. كان الوضع كالجحيم الحي لكليهما. وعدها أنه حالما يركز وضعه، سيعود اليها ويأخذ والدك والطفل كذلك معه. وأنه

سيقاتل من أجلهم بكل محكمة في البلاد لو اضطر لذلك» التوى فمه: «لم يخطر بباله مطلقاً، بالطبع، أنه حين يعود فستكون هي قد... رحلت. وكذلك طفلهما».

«وحينها قرر الانتقام».

«أجل» وافقها: «لقد سلب منه جدك مستقبله مع المرأة التي يحب. بالمقابل، هو سيأخذ كل ما يكترث جدك له. كان الأمر بتلك البساطة».

«أتفهم الآن سبب المرارة التي شعر بها جدك... سبب الحقد على عائلتنا».

«كانت لديه أفضل الأسباب. الخطأ كان بنقل هذه المرارة عبر الأجيال. كان يجب ان أضع حداً لذلك منذ فترة طويلة سابقة».

«اذن لماذا لم تفعل؟».

هز كتفيه: «لأنني، كما فعل جدي من قبلي، وقعت بخطأ الرغبة بإمرأة من آل بلانش ولتذهب النتائج الى الجحيم. كان يجب ان أستقر مع واحدة من الفتيات اللواتي أردتني بدلاً من ذلك. لكانت الحياة حينها أكثر أماناً... أكثر سهولة عما هي عليه».

«أجل» قالت والألم يعتصر قلبها: «لا بأس. أنا واثقة ان الأوان لم يفوتك بعد. انت لم تعاني مطلقاً من قلة المعجبات» تابعت وقلبها يختنق: «اذن انها بداية جديدة لنا نحن الاثنين. وبدون ضغائن وذكريات».

«آمل ذلك» قال ثم تابع: «ما هي مشاريعك الحالية؟».

«لم أفكر بذلك بعد» قالت مصطنعة ابتسامة: «قد أعود

www.elromancia.com

مجدداً الى استراليا لقد أحببت العيشة هناك».

«ولماذا تهربين؟» سألها: «لا يوجد أي شيء لتهربي منه».

«آه، بلى، يوجد الكثير. معرفة انك لا تريدني ولا ترغب بي. انك لن تقبلني أو تلمسني ثانية. واقع انك ستعيش في منزلك الجديد وتتزوج من احدى بنات ثري ما».

رفعت ذقنها: «ولا شيء ليبقيني هنا أيضاً».

«هل هذا صحيح؟» سألها: «أخبريني سيرينا قبل أن أركع على ركبتي وأتوسلك للبقاء».

توقف قلبها للحظة: «لقد انتهت النكتة» قالت باهتزاز: «انت قلت ذلك بنفسك».

«لست أمزح اللعنة عليك» كان شاحباً كالموتى وفمه متصلب: «اشتريت منزل ترامب وأنا آمل وأصلي ان يكون لنا سوياً. لم أحلم بأي شيء سوى وجودك هناك الى جانبي. لا أريد النوم بمفردي على ذلك السرير. حين أستيقظ هناك، أريدك انت، كزوجتي، ان تكوني بين ذراعي».

نظر اليها ورأت الدموع داخل عينيه: «ما مضى قد انتهى سيرينا، هناك الكثير لنندم عليه نحن الاثنين، لكن هذا ليس من الضرورة ان يلغي المستقبل. لا تذهبي، يا حبيبتي، لا تتركيني. لأن هذه المرة سألحق بك مهما كانت المسافة التي ستبتعدين اليها».

للحظة كان هناك صمت مطبق ثم أخذت خطوة مهتزة

نحوه. في اللحظة الثانية كانت بين ذراعيه المحيطتان بها بقوة، بحب لم تستطيع معهما التنفس أو التحرك.

لفظ اسمها وصوته يرتعش ثم أخذ يقبلها بعمق وبلا توقف وكانت تتجاوب وقلبها على شفتيها.

بين القبلات قالا كلمات الحب التي لم يعد باستطاعة أحدهما نكرانه. نصف ضاحكين. نصف باكين التصقا ببعضهما البعض.

«اعتقدت انك لم تعد تريدني مطلقاً».

«اعتقدت أنني قد فقدتك للأبد».

«لماذا لم تخبرني؟ لماذا لم تقل...».

«هل كنت ستصدقينني؟».

«أنا أصدقك الآن».

«أجل».

قال الكلمة ورددتها هي وراءه كأنها كانت قسماً.

رفعها غابريال بين ذراعيه وجلسا وهي بين أحضانه على السرير.

«لقد ارتكبت الكثير من الأخطاء بالطبع» قال مقبلاً رأسها: «الخطة كانت بأخذك الى المنزل هناك وهناك كنت سأبوح لك بحبي. اعتقدت ان فرصتي الوحيدة كانت باقناعك، أنه مهما سبق وحدث وقيل بيننا في الماضي، فإن نواياي نحوك الآن كانت شريفة تماماً».

«وما الذي جعلك تدرك ذلك؟» سألته وهي تضرب وجنته بأصابعها برقة.

«أعتقد أنني أدركت ذلك طوال الوقت» قال ببطء: «من

www.elromancia.com

اللحظة الأولى التي رأيتك بها. قبل كل تلك السنين - طفلة مرتعبة في مقعد السيارة الخلفي. حين التقينا مجدداً، كراشدين، رأيتك في الغرفة أثناء حفلة ما. لم أعرف من تكونين في البداية، لكن شعرت بذلك التميز والإدراك الذي كاد ان يصعقني. ها هي، فكرت، المرأة التي كنت أنتظرها. ثم أخبرني أحدهم بإسمك، وشعرت كأن قوتي كلها قد تلاشت».

ضحك باهتزاز: «بدا وكأن هذا مهزلة الحياة العظمى - ان تشاهد الفتاة التي تريدها من بين كل فتيات العالم، ثم تدرك أنها بعيدة عن متناول يدك كلياً. تناولت بعض الكؤوس وتجادلت مع نفسي. كان قد حان الوقت لإنهاء ذلك النزاع وكنت أعرف ذلك. مهما كانت أخطاء وعدم أخطاء الوضع، فالشرف قد اكتفى أكثر من حاجته، وقلت لنفسي انه لربما هذه هي الطريقة الفضلى لاصلاح ما تحطم منذ جيلين. فاقتربت منك وتم التعارف فنظرت الي كأنني قادم من تحت القبور» تنهد: «لقد استلزمني الكثير من الشجاعة لأقترب منك ونظرتك هذه أشعرتني كأنني قد صفعت علناً على وجهي، فقررت حينها أنك اذا أردت اللعب بقسوة وخشونة فإنني ساجاريك وسأصل الى النهاية معك وأنه يوماً ما مهما طال انتظاره، ستكونين لي كلياً وتماماً».

نظر اليها بحب: «لم أسامح على حقيقة أنك كنت مصممة بنفس القوة على إبقائي بعيداً عنك. حين تزوجت من ستيف كدت ان أصاب بالجنون. ليلة زفافك كانت أسوا

ليلة في حياتي كلها. ظللت أتصور في عقلي صوراً لكما الاثنين سوياً - هو يحضنك بذراعيه يلامسك كما أردت أنا ان أفعل. أغرقت نفسي بالشراب حتى أمحي هذه الصور من رأسي».

تململت سيرينا بحب بين أحضانه: «غابريال...».

«دعيني أنهي كلامي يا حبيبتي أرجوك. كدت ان أكرهك حينها لكن شيئاً لم يتغير: حدس ما أخبرني ان هذه لم تكن النهاية. ظللت أردد ذلك لنفسي... وأنتظر وأقول تصبر، تحمل ثم حدث ذلك الحادث لستيف اللعين المسكين».

«غابريال أنا... أنا وستيف لم...» تلعثمت ولم تعرف ماذا تقول.

فحدق غابريال بها بعدم تصديق وقال: «أتقصدين القول انكما لم تمارسا الحب لم تتشاركا الفراش».

طأطأت برأسها موافقة والاحمرار يلون خديها.

«اذن انت لا تزالين... عذراء؟» هتف بعدم تصديق.

«أجل» همست: «لقد كان ستيف عاجزاً... ولم يستطع ان يقوم بواجباته كزوج صحيح».

«آه يا حبيبتي وتحملت انت كل عقده ونواقصه».

«أشعر باللوم لو لم أتزوجه لما كان حصل ما حصل له».

«عليك التوقف عن لوم نفسك يا حبيبتي، لقد إختار ستيف طريقه الخاص للخلاص. للأسف تلاقى طريقه بطريقك على التقاطع الخطأ وفي اللحظة الخاطئة هذا كل

شيء».

«لكن ماذا اذا... اذا لم أتمكن من إسعادك انت أيضاً؟؟».

«لن تفعلين» قال وهو يلامس خدها بحنان وتسلل بملامسته الى عنقها وأعلى صدرها فتأوهت وقد اشتعلت رغبتها الدفينة.

«أرأيت» قال لها بلطف: «انت نصفي الآخر».

إشتدت ذراعيه حولها: «لقد آذانا الماضي كفاية» تابع: «دعينا ننظر الى المستقبل الآن هيا. سآخذك الى منزلنا الجديد الى فيللا ترامب انت وأنا يا حبي».

«فيللا الحب والسعادة».

«السعادة التي ستظلل حياتنا الى الأبد سيرينا سميث».

ضحكت وضحكت لها الشمس وهو يحملها بعيداً عن المستشفى التي كانت الشاهد على اشراق حبهما العميق والذي ستظل نيرانه وهاجة الى الأبد.